بسم الله الرحمن الرحيم

الوسائل المفيدة للحياة السعيدة

للشيخ العلامة: أبي عبد الله، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر بن حمد آل سعدي رحمه الله تعالى

(١٣٠٧هـ - ١٣٧٦هـ)

وعليه:

توجيه الأنفس المريضة والعنيدة إلى أسباب الحياة السعيدة

لصاحب الفضيلة الشيخ أبي المنذر/ فؤاد بن يوسف بن سليمان أبو سعيد

رئيس المجلس العلمي للدعوة السلفية بفلسطين

غفر الله له ولوالديه وللمسلمين

غرة جمادى الآخرة ١٤٤٤هـ، وفق: ٢٥/ ١٢/ ٢٠٢٢م

الوسائل المفيدة للحياة السعيدة

إنّ الحمدَ لله، **نحمدُه** ونستعينه ونستغفره، **ونعوذُ** بالله من شرور أنفسنا **ومن** سيئات أعمالنا، **من** يهده الله فلا مضلَّ له، **ومن** يضلل فلا هادي له، **وأشهدُ** أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، **وأشهد** أن محمَّدا عبده ورسوله.

اللهم صلِ وسلّم وبارِكْ على نبينا محمَّد، **وعلى** آله وصحبه ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين، **أما بعد:**

أُحييكم جميعا كلٌّ باسمه ولقبه بتحية الإسلام، **تحية** أهلِ الجنة، **السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.**

أشكر الله سبحانه وتعالى وأثني عليه، **ثم أشكر** دار الكتاب والسنة ممثلة في **لجنتها العلمية؛** لتنفيذ وترتيب مثل هذه اللقاءات، التي تسهل على طالب العلم، وطالب المعرفة وطالب الخير، وطالب السعادة، توفّر له هذا اللقاء الطيب المبارك، **فجزاكم الله** وجزى أمثالكم خير الجزاء، **ونسأل الله** عز وجل أيضا لمن لبَّى الحضور، **وكانت** إن شاء الله نيته خالصة لوجه الله عز وجل، **وأراد** أنْ يستفيدَ أن يعطيه الله خيرا مما نوى.

وما بين أيدينا كلامٌ عامٌّ عن السعادة، عن الراحة، عن الطمأنينة، التي يحتاجها الإنسان، بغض النظر عن إيمانه أو عن كفرانه، عن بره وإحسانه، أو عن فجوره وعصيانه، **الكلُّ** يبحثُ عن السعادة، وبعض الناس من قِصرِ نظره؛ يظنُّ أنّ السعادةَ مقصورةٌ في المال، أو مقصورةً في الملك، أو الجاه أو المنصب، أو مقصورةً على كثرة الأولاد، أو مقصورة على الزوجات الجميلات، أو الشهوات أو الملذات أو على الأطعمة والأشربة.

وإنما كل واحدة من هذه نوعَ من أنواع السعادة، وليست هي السعادة الحقيقية، هذه أنوعَ منها، ويشترك فيها الإنسان، حتى الحيوان يكون سعيدًا إذا تناول طعامه وشرابه.

لكن الذي نتكلّم عنه هنا؛ السعادةُ التي تكون في الدنيا وفي الآخرة، سعادةٌ تجمع الأمرين، فلا غنى لنا عن سعادة الدنيا بما فيها من مال وصحة وعافية، وما فيها من خير، لا غنى لنا عن ذلك، لكنَّ الصحيح أنّ الأمر المهمَّ سعادة الآخرة.

في هذه الرسالة (**الوسائل المفيدة للحياة السعيدة**)، علّمنا الشيخ السعديُّ رحمه الله أمورا كثيرة، عشت معها في تحضيرها، وقراءتها وشرحها، **بمجرِد** أنْ علمت أني سأشرحه وأعلّقُ عليه، عشت مع السعادة، مع الشيخ رحمه الله رحمة واسعة.

وهنا لي بعض التعليقات، أو بعض الشرح للكلمات، أو إضافة بعضِ الآيات والأحاديث، فهذه الرسالة: **(الوسائل المفيدة للحياة السعيدة)**.

وما فعلته أنا سميته: **(توجيه الأنفس المريضة والعنيدة إلى أسباب السعيدة)**.

وهذه مقدمة لهذه الرسالة التي تضع بين أيدينا الخطوط العريضة للسعادة الحقيقية التي ينشدها المرء، ويسعى إليها كل إنسان، بعيدةً عن الجنوح البشري، إذا جنح البشر يمينا أو يسارا في طلب السعادة لا نريد جنوحا؛ بل استقامةً، **وهذه الرسالة** معتمدة في رسمِ الخطوط والزوايا على الأدلة المكينة من القرآن العظيم، والإرشاد النبوي الحكيم.

وهي هي نفسها السعادة التي يتمنّاها الرجل المؤمن، ويحياها المجتمع المؤمن؛ لأنها الطريق الوحيدَ لتنظيم مسيرته في الحياة، على تقوى من الله ورضوان.

وأما كاتب هذه الرسالة؛ فهذه ترجمة مختصرة له:

هو صاحب الفضيلة الشيخ العالم العلامة: (أبو عبد الله، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر بن حمد آل سعدي)، المولود عام: (١٣٠٧هـ)، بمدينة عنيزة بالقصيم، في إقليم نجد بالمملكة العربية السعودية، (المتوفى عام: ١٣٧٦هـ).

وتوفيت أمُّه سنة: (١٣١٠هـ) وله أربع سنوات، وتوفي والده بعدها بثلاثة أعوام، سنة: (١٣١٣هـ) وله سبع سنوات، فعاش ونشأ يتيم الأبوين، وهذا يذكرنا بالعظام الذين ولدوا وربوا أيتاما ومنهم نبينا مُحَمَّد ﷺ، **فاليتم** لا يمنع أن يصل الإنسان إلى مبتغاه، فعطفت عليه زوجة والده، وكفلته وأحبته أكثر من حبها لأولادها، وصار عندها موضع العناية والرعاية، فلما شبَّ صار في بيت أخيه الأكبر حمد بن ناصر.

وقد كان على قدرٍ وفيرٍ من الذكاء والفطنة، والرغبة في طلبِ العلم.

وقد بدأ حفظَ القرآنِ في سنٍّ مبكّرة، حتى أتمَّهُ، وأتقنه في الثانيةَ عشر من عمره.

وشرع في طلب العلوم، وأخذ يتلقَّاها عن علماء بلده، وغيرهم ممن قدم إليها، وبذلَ جهدَه في سبيل ذلك، حتى نالَ الحظَّ الأوفر، والنصيب الأكبر من العلوم والمعارف.

وفي سنِّ الثالثة والعشرين؛ ابتدأ الجمعَ بين طلبِ العلمِ وتدريسه، واستفادته وإفادته، وقضى في ذلك جميعَ وقته طولَ حياته، وقد تَتلمذ على يديه وتلقَّى الكثيرون عنه وانتفعوا به.

وهو أول من أدخل مكبر الصوت في مسجد عنيزة، ووقف أمامه المتعصبون وحالوا يمنعوه، وقالوا: إن هذا بدعة، ولا يجوز، وكيف لهذا الجهاز أن يدخل المسجد؟ وقد [أتاه رجل، وكان يلبس نظارة على عينيه، ينكر هذه الوسيلة، وأنها مبتدعة، وأنهم لم يجدوا عليها آباءهم، وأنها من صنع غير المسلمين ولا حاجة لنا بها.

فقام رحمه الله فخلع النظارة من عيني الرجل وسأله: هل ترى بوضوح؟ فقال له الرجل: لا يا شيخ. فأعادها إلى عينيه مرة أخرى فقال له: والآن؟ قال الرجل: الآن أفضل وأشوف زين.

فقال له الشيخ: يا أخي أنت تعرف بأن النظارة تقرب البعيد، وتزيد العين إبصارا، فكذلك مكبر الصوت يقرب الصوت للبعيد، فيسمعه من في آخر المسجد ومن هو خارجه فيستفيد القريب والبعيد، وكذلك النساء في بيوتهن والقريبات من المسجد فيسمعن ذكر الله ويستفدن من مجالس العلم وغيرها، فهي نعمة من نعم الله علينا يجب الاستفادة منها في إيصال الحق ونشره].([1])

وله خطبة في منافع مكبر الصوت، قالها حين وضعه في المسجد، واستنكره بعض الناس قال فيها:

(وكذلك إيصال الأصوات والمقالات النافعة إلى الأمكنة البعيدة من برقيات وتلفونان وغيرهما، داخل في أمر الله ورسوله بتبليغ الحق إلى الخلق، فإن إيصال الحق والكلام النافع بالوسائل المتنوعة من نعم الله، وترقية الصنائع والمخترعات لتحصيل المصالح الدينية والدنيوية من الجهاد في سبيل الله)،([2]) إلى آخر خطبته في ذلك اليوم.

شيوخه رحمه الله، فقد تتلمذ على عدد من الشيوخ، منهم:

١- الشيخ: (إبراهيم بن حمد بن جاسر)، وكان أولَ من قرأ عليه.

٢- الشيخ: (صالح بن عثمان)؛ قاضي عنيزة أخذ عنه: الأصول والفقه والتوحيد، والتفسير والعربية، ولازمه إلى وفاته.

([1]) مواقف من حياة الشيخ الوالد عبد الرحمن بن ناصر السعدي.

([2]) الخطب المنبرية: (ص: ٨١).

٣- والشيخ مُحَمَّد بن عبد الكريم بن إبراهيم بن صالح الشبل.

٣- والشيخ عبد الله بن عائض العريضي الحربي. وغيرهم كثير.

تلاميذه:

وقد أخذ عنه العلم خلقٌ كثير يصعب حصرهم، منهم:

١- الشيخ مُحَمَّد بن صالح العثيمين. خلف شيخه في إمامة الجامع بعنيزة، وفي التدريس والوعظ والخطابة.

٢- والشيخ عبد الله بن عبد الرحمن البسام. عضو هيئة التمييز بالمنطقة الغربية.

٣- والشيخ عبد الله بن عبد العزيز العقيل. عضو الهيئة القضائية العليا في وزارة العدل. وغيرهم.

وكان الشيخ رحمه الله ذا معرفة تامَّة بالفقه وأصوله، وخبرة كاملة بالتوحيد وما إليه، بسبب اشتغاله بالكتب المعتبرة، واهتمامه بتصانيف الشيخين؛ ابن تيمية، وابن القيم خاصة رحمهما الله.

كما كان ذا عناية فائقة بالتفسير وفنونه فقرأه حتى برع فيه وأتقنه رحمه الله، وصارت له اليد الطُّولى فيه، **وله من المؤلفات في التفسير:**

١- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان في ثمانية أجزاء. وطبع في جزء واحد بخطّ صغير.

٢- تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن.

٣- القواعد الحسان لتفسير القرآن.

ومن مؤلفاته التي ينصح باقتنائها والاستفادة منها سوى ما تقدم:

٤- الإرشاد إلى معرفة الأحكام.

٥- الرياض الناضرة.

٦- بهجة قلوب الأبرار.

٧- منهج السالكين وتوضيح الفقه في الدين.

٨- حكمُ شربِ الدخانِ وبيعه وشرائه.

٩- الفتاوى السعدية.

١٠- له ثلاثة دواوين خطب منبرية، نافعة.

١١- الحقُّ الواضحُ المبينُ بشرحِ توحيدِ الأنبياءِ والمرسلين.

١٢- توضيح الكافية الشافية شرح (نونية ابن القيم).

وله مؤلفات كثيرة: في الفقه، والتوحيد، والحديث، والأصول، والأبحاث الاجتماعية، والفتاوى المختلفة، زادت عن الأربعين مؤلَّفاً..

ومن لطائف شعره؛ لأن له دواوين، أي أبيات شعرية وقصائد، قوله في وصف السيارة أولَ ما ركبها مسافراً للحج، وهذا أول ما وصلتهم السيارات في بلاد نجد، فأول ما ركبها أثارت عنده شجون الشعر، فقال:

يا راحلين إلى الحمى برواحلٍ *** تطوي الفلا والبِيْد طيَّ المسرعِ

ليست تبول [لأن الإبل هي التي تبول وهذه لا تبول]، ولا تروث وما لها *** روح تحنُّ إلى الربيع الممرعِ

ما استولدت من نوقها بل صُنعها *** من بعض تعليم اللطيف المبدعِ

كم أوصلت دارَ الحبيبِ وكم سرتْ *** بحمولها نَحو الديارِ الشُّسَّعِ [هذا وصف للسيارة].

وفاته:

وقد أصيب بمرضٍ شديد مفاجئٍ، أنذرَ بدنوِّ منيَّته، عام: (١٣٧١هـ)، أي: قبل وفاته بخمس سنوات بمرض ضغط الدم، وتصلب الشرايين فكان يعتريه مرة بعد مرة وهو صابر عليه، وكانت أعراض المرض تبدو عليه بعض الساعات في الكلام فيقف ولو كان يقرأ القرآن ما يستطيع أن يكمل، يقف بمقدار دقيقة، ثم يتكلم رحمه الله.[1]

([1]) من علماء نجد للبسام (٢/ ٤٢٩)، ومشاهير علماء نجد لآل الشيخ (٣٩٦) وغيرهما.

سافر إلى بيروت في عام: (١٣٧٣هـ) وبقي هناك شهراً، يعالج حتى شفاه الله، ونصحه الأطباء بالراحة وقلة التفكير والإجهاد، أي لا داعي للقراءة ولا داعي للتدريس.

واجتمع في سفره هذا بعدد من العلماء، وتعرف بجملة من الفضلاء، منهم الشيخ العلامة مُحَمَّد ناصر الدين الألباني... رحم الله الجميع.

صار المرض يعاوده ثم يشفى، ولا يصده عن الخروج، ويحدث معه رِعدة وسكتة لا يقدر معها على الكلام وتبقى دقيقة واحدة ثم تزول بدون تألم سوى برد يتلوه عرق.

توفي رحمه الله بمدينة عنيزة، قبل طلوع فجر من يوم الخميس الموافق: ٢٣ جمادى الآخرة سنة ١٣٧٦هـ، وفق: ٢٤/ ١/ ١٩٥٧م عن تسع وستين سنة.[١]

وقد ترك أثرا وحزناً عميقاً في نفس كل من عرفه، أو سمع عنه أو قرأ له، رحمه الله رحمة واسعة، ونفعنا بعلمه ومؤلفاته. آمين.[٢]

---

(١) ومن حسن الطالع؛ إن صح التعبير، أني أنا فؤاد أبو المنذر ولدت في نفس العام، يوم الخميس- ١٠/ شوال/ ١٣٧٦هـ، الموافق: ٩/ ٥/ ١٩٥٧م، فمات عالمٌ، ولعلّه وُلِدَ طالبُ علم، نسأل الله ذلك.

(٢) بتصرف يسير من كتاب: الشيخ عبد الرحمن بن سعدي وجهوده في تو ضيح العقيدة، لعبد الرزاق بن عبد المحسن البدر، حفظه الله.

[مقدمة المؤلف]

(الحمدُ لله الذي له الحمدُ كله، وأشهدُ أن لا إله إلا الله وحدَه لا شريكَ له، وأشهدُ أنَّ محمدًا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم).

افتتح الشيخ رحمه الله هذه الرسالة المفيدة، بـ(الحمد لله)، ويسميها العلماء الحمدلة، مثل: الحوقلة؛ لا حول ولا قوة إلا بالله، وبهذه الجملة الحمدلة **افتُتِحت** بها سور من القرآن الكريم مثل: سورة الفاتحة والأنعام والكهف، وسبأ وفاطر.

واختُتِمت بها سور في آخر آيات منها، لا أتحدث عن الوسط، فيوجد آياتٌ كثيرةٌ في الوسط، لكن في آخرها اختتمت بها: سورةُ الإسراء، وسورةُ النمل، والصافات، وآخر آيتين من سورة الزمر.

وأوَّلُ من نطق بكلمة **(الحمد لله)** هو أبونا؛ آدم عليه السلام؛ ففي الحديث: ("**فَلَمَّا نَفَخَ فيه الرُّوحَ عطَسَ، فَقَالَ: الْحَمْدُ لله، فَحمدَ اللهَ بإذْنه، فَقَالَ لَهُ رَبُّهُ: يرحَمَكَ اللهُ يا آدَمُ**").

وفي رواية: ("**يَرحَمَكَ ربُّكَ**")، رواه الترمذي وابن حبان.[1]

قوله: ("**فَحَمدَ اللهَ بإِذْنه**")؛ أَي: بأَمْره وحكْمه، أَوْ بقَضَائه وقَدَره، أَوْ بتَيْسيره وتَوْفيقه.

وهي مقولة الحور العين فرحاً بأزواجهن في الجنة، ففي الحديث: ("**فَتَدْخُلُ عَلَيْه زَوْجَتَاهُ منْ الْحُورِ الْعِين، فَتَقُولَان لَهُ: الْحَمْدُ لله الَّذي أَحْيَاكَ لَنَا، وَأَحْيَانَا لَكَ**")، رواه مسلم.[2]

وهي كلمة ثقيلة في ميزان العبد، فأكثروا منها في السراء والضراء، قال ﷺ:

("**وَالْحَمْدُ لله، تَمْلَأُ الْميزَانَ، وَسُبْحَانَ الله، وَالْحَمْدُ لله، تَمْلَآَن**") أو تملأ ("**مَا بَيْنَ السَّموات وَالْأَرْض**")، رواه مسلم والترمذي وابن ماجه.[3]

وهي كلمةٌ تُقَالُ عند المصائب، وعند الأفراح والابتهاج، حتى إنها تُقال عند نزع الروح، هذا ما قَالَه رَسُولُ الله ﷺ:

([1]) (ت) (٣٣٦٨)، (حب) (٦١٦٧)، وقال شعيب الأرناؤوط: إسناده قوي على شرط مسلم.

([2]) (م) (١٨٨).

([3]) (م) ١- (٢٢٣)، (ت) (٣٥١٧)، (جة) (٢٨٠).

("الْحَمْدُ للهِ")، (الْمُؤْمِنُ بِخَيْرٍ عَلَى كُلِّ حَالٍ، تُنْزَعُ نَفْسُهُ مِنْ بَيْنِ جَنْبَيْهِ، وَهُوَ يَحْمَدُ اللهَ عز وجل")، رواه أحمد والنسائي وابن حبان.[١] وقَالَ ﷺ:

("إِنَّ أَفْضَلَ عِبَادِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ، الْحَمَّادُونَ")، رواه الطبراني في الكبير وأحمد وابن أبي شيبة،[٢] أي: كثيري الحمد.

قالَ الشيخ: (الحَمدُ للهِ الذي له الحمدُ كلُّه)، فَجعل الحمدَ كلَّه لله لا لأحد سواه.

وابتدأ الشيخ رحمه الله بالحمدلة اقتداء بالنبي ﷺ، الذي كان يفتتح خطَبه كلَّها بها.

وثنَّى بالشهادتين فقال: (وأشهدُ أن لا إله إلا الله وحدَه لا شريكَ له، وأشهدُ أنَّ محمدًا عبده ورسوله)، وهذه الشهادة، هي التي بها يدخل المرء بها في دينِ الإسلام؛ والشهادةُ بالتوحيد لله تبارك وتعالى، والشهادةُ لمحمد صلى الله عليه وسلم بالعبودية والرسالة.

ثم ختم رحمه الله هذه الافتتاحية بالصلاة والسلام عليه ﷺ، قائلا: (صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم)، ولم ينس آلَ النبيِ وصحبه من الصلاة والسلام، فبالصلاة عليه ﷺ؛ تُكفَى الهموم، وتُغفر الذنوب.[٣]

ثم قال رحمه الله: (أما بعد: فإنَّ راحةَ القلبِ وسروره، وزوالَ همومه وغمومه؛ هو المطلبُ لكلِّ أحَد، وبه تحصلُ الحياةُ الطيبة، ويتمُّ السرور والابتهاج.

ولذلك أسباب **دينيَّةٌ**، وأسباب **طبيعيَّةٌ**، وأسباب **عَمليَّةٌ**، ولا يمكن اجتماعُها كلُّها إلاَّ **للمؤمنين**.

وأما من سواهم؛ فإنها وإن حصلت لهم من وجه وسببٍ يجاهد عقلاؤهم عليه، فاتَتْهم من وجوه أنفعَ وأثبتَ وأحسن حالاً ومآلاً).

قول الشيخ رحمه الله تعالى، وقول العلماء والوعاظ والخطباء في الخطب والدروس ونحو ذلك: (أما بعدُ): اختلفوا في أوَّل من قال: (أَما بعدَ)، وهناك قولان فيها لعلماء اللغة والآداب والتاريخ، فيقال: داودَ عليه السلام أوَّلُ من قالها، فقال سبحانه:

---

(١) (حم) (٢٤١٢)، (٢٧٠٤)، (س) (١٨٤٣)، (حب) (٢٩١٤).

(٢) (طب) (ج١٨ ص١٢٥ ح٢٥٤)، (حم) (١٩٨٩٥)، (ش) (٣٤٦٩٢)، انظر الصَّحِيحَة: (١٥٨٤).

(٣) قَالَ صلى الله عليه وسلم لأُبَيّ بْنِ كَعْبٍ رضي الله عنه، عندما أراد أن يجعل دعاءه كله صلاة عليه: "**إِذًا تُكْفَى هَمَّكَ، وَيُغْفَرُ لَكَ ذَنْبُكَ**". (ت) (٢٤٥٧)، (ك) (٣٥٧٨)، الصَّحِيحَة: (٩٥٤).

{وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ}، (ص: ٢٠)، قالوا: فصل الخطاب قوله أما بعد، ويقال: أَوَّلُ من قالها؛ قُسُّ بن ساعدة الأيادي.

وقَوْلهم فِي الخطابة: أما بَعْدُ، إِنَّمَا يُرِيدُونَ في معنى كلمة أما بعد، أي: أما بعدَ دعائي لَك.[1]

قال: **(فإنَّ راحةَ القلبِ)** والفؤاد **(وسروره)** وفرحه، **(وزوالَ همومه وغمومه؛ هو المطلب لكلِ أحَد)**، مسلما كان أو غيره، أي: أو غير مسلم، **(وبه تحصل الحياةُ الطيبة)**، والراحةَ النفسية، **(ويتمُّ السرورُ والابتهاج)**، والفرح والسعادةُ.

(ولذلك أسبابَ دينيَّةٌ) شرعية، **(وأسبابَ طبيعيَّةٌ)** جبلّيةٌ فطريّة، **(وأسبابَ عَمليَّةٌ)**، قائمة على علمٍ وتجربة، **(ولا يمكن اجتماعُها كلُّها إلاّ للمؤمنين)**، الموحّدين.

(وأما من سواهم) من غير المسلمين؛ **(فإنها وإنْ حصلت لهم)** الراحةَ والسعادةُ **(من وجه)** وطريق، **(وسببٍ)** وسبيل، **(يجاهدُ)** ويجتهد ويسعى **(عقلاؤهم)** ومفكروهم **(عليه)**، فنجحوا وحصلوا عليها؛ **(فاتَتهم)** وأضاعوها، **(من وجوه)** أخرى أجدَى و**(أنفع)**، في الدارين، **(وأثبتَ)** وأرسخ **(وأحسن حالاً)** في الوقت والآن، في الدنيا، **(ومآلاً)** فيما بعد في الآخرة.

***

قال الشيخ رحمه الله تعالى: **(ولكني)** وهنا استدراك منه رحمه الله، بأنه لا يذكر كلَّ الأسباب، وكلَّ الطرق المؤدية للسعادة، قال: **(لكني سأذكُر برسالتي هذه ما يحضرني)**، وما يسَّر الله **(من الأسباب لهذا المطلبِ الأعلى)**؛ مطلب الراحة والسعادة، **(الذي يسعى له كلُّ أحَد)**؛ المسلم وغير المسلم.

(فمنهم)؛ من الناس **(من أصاب)** وحصَّل **(كثيرا منها)**؛ أي: من هذه الأسباب **(فعاشَ عيشَةً هنيئَة، وحَيِي حياةً طيبة)** سعيدة.

(ومنهم)؛ أي: ومن الناس **(من أخفقَ)** وفشل **(فيها كلّها، ف)** بئِس و**(عاش عيشةَ الشَّقاء)**، والهمِ والغمِ، **(وحَيِي حياةَ التُّعساء)** والبؤساء.

---

[1] انظر الزاهر في معاني كلمات الناس (٢/ ٣٥١)، والأوائل للعسكري (ص: ٦٨)، والمحكم والمحيط الأعظم (٢/ ٣٣).

(**ومنهم**)؛ من الناس (**من هو بين بين**)؛ مرَّةً يشعر بالراحة والسعادة، ومرَّة يحسُّ بالبؤس والتعاسة، (**بحسب ما وُفِّقَ له**)، وما يسر الله وقدّر، (**والله**) وحده سبحانه (**الموفِّقُ**)، والميسِّر، (**والمستعانُ به**) وحده جل جلاله (**على**) جَلْبِ (**كلِ**) نفعٍ و(**خيرٍ، و**) هو وحده المستعانُ (**على دفْعِ كلِ**) سوءٍ و(**شرٍ**).

ثم شرع الشيخ -رحمه الله ونفعنا بعلومه آمين- في بيان الأسباب والطرق المعينة للوصول إلى الراحة والسعادة، والبهجة والسرور، فقال:

(فصل)

وهذه الأسباب -حسب الاجتهاد- رقمتها بأرقام وصلت وزادت عن عشرين سببا.

١- (وأعظم الأسباب لذلك وأصلها وأسها هو: الإيمان والعمل الصالح، قال تعالى: {**مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**})، (النحل: ٩٧).

وشرع المؤلف رحمه الله في ذكر الوسائل المفضية للسعادة، والأسباب المؤدية إلى الطمأنينة، فقال:

١- (**وأعظمُ الأسبابِ لذلك**) وأهمها (**وأصلُها وأسُّها**)؛ أي: أساسها التي قامت عليه (**هو**):

(**الإيمان**) بالله وحده، والإيمانُ بدينه وشرعه، والإيمانُ برسله وأنبيائه عليهم الصلاة والسلام، (**و**) أيضا (**العمل الصالح**) الخالص، الذي يرضيه سبحانه وتعالى، فإذا أردت السعادة كن مؤمنا وعاملا بالصالحات، (**قال**) سبحانه و(**تعالى**):

({**مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ**}؛ أي: جنس الرجال، {**أَوْ أُنْثَى**}؛ أي: جنس النساء، {**وَهُوَ مُؤْمِنٌ**}، فإن الإيمان شرطٌ في صحَّة الأعمال الصالحة وقبولها؛ بل لا تُسمّى أعمالاً صالحةً إلاّ بالإيمان، والإيمانُ مقتضٍ لها، فإنَّه التصديق الجازم، المثمر لأعمال الجوارح من الواجبات والمستحبّات.

فمن جمع بين الإيمان والعمل الصالح {**فَلَنُحْيِيَنَّهُ**،[1] **حَيَاةً طَيِّبَةً**} في الدنيا، وذلك بطُمأنينة قلبه، وسكون نفسه، وعدم التفاته لما يشوش عليه قلبه، ويرزقه الله رزقًا حلالاً طيبًا من حيث لا يحتسب، {**وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ**}، أي: في الآخرة

([1]) {فَلَنُحْيِيَنَّهُ}، الجملة: جواب شرط جازم مقترن بالفاء في محل جزم.

الفاء: رابطة لجواب الشرط، واللام للتوكيد.

{**أَجْرهَم**} وثوابهم {**بِأَحْسَنِ**} وأفضلِ {**ما كَانُوا يعْملُونَ**})، من أصناف اللذات؛ ممَّا لا عينَ رأت، ولا أُذُنٌ سمعت، ولا خطر على قلب بشر، فيؤتيه اللهُ سبحانه وتعالى في الدنيا حسنةً وفي الآخرة حسنة.[١]

فإنّ هذه أعلى أنواع السعادة، (**فأخبر**) الله سبحانه و (**تعالى ووعَدَ من جَمَعَ بين الإيمان والعملِ الصالح**) الخالصِ (**بالحياة**) السعيدة (**الطيِّبة في هذه الدّار**) الدنيا، (**وبالجزاء الحسَنِ في هذه الدار**) الدنيا، أيضاً (**وفي دارِ القَرار**) في الآخرة، يوم القيامة.

قال الشيخ رحمه الله: (**وسبب ذلك**) الأمر؛ من الوعد بالحياة الطيبة في الدنيا، والجزاء الحسن في الدارين، قال: (**واضح**) بيِّنٌ؛ (**فإنّ المؤمنين بالله الإيمانَ الصحيحَ**)، لا الإيمانَ الصوريَّ، ولا الإيمان الفاسد، ولا الإيمان المدَّعى؛ بل الإيمان الصحيح (**المثمر للعملِ الَصالحِ المصلحِ للقلوب**) والعقائد والعبادات، (**والأخلاق**)، والمعاملات، (**و**) إيمانٌ مُصلح (**الدنيا والآخرة**).

فأولئك (**معهم أصولٌ**) وقواعدَ (**وأُسس يتلقَّون فيها**)، ويمتثلون (**جميعَ ما يرِدُ عليهم من أسبابِ السرور والابتهاج**)؛ أي: سبب من أسباب السرور والابتهاج، ما دامت عندهم الإيمان والعمل الصالح يتقبلونها ويتلقَّون ذلك، يعني إنسان عنده الإيمان والعمل الصالح وجاءه ولد، جاءه مال، جاءه منصب أو جاه، هذا من أسباب السعادة أيضا، يتلقَّون ذلك بماذا؟ بالشكرِ والحمد والثناء.

(**و**) ويتلقَّون من (**أسبابِ القلقِ والهمِّ والأحزان**)؛ لفقد ولد أو فقدٍ مال أو فقد صحة، ماذا يتلقَّون؟ انظر إليهم، قال: ويتلقونه بالصبر والاستسلام لقدر الله سبحانه وتعالى.

فأهل الطمأنينة والسعادة (**يتلقَّون المحابَّ**)؛ والمحاب جمع، وهي التي يحبها الإنسان بفطرته؛ أي: يستقبلون ما يجدونه ويحبونه من السعادة، (**و**) يتلقّون (**المسارَّ**)؛ وهي الأشياء التي تسرُّهم، أي: ما يسرُّهم ويفرحهم؛ يتلقون ذلك (**بقَبُول لها**)، وانشراح صدر، (**وشُكْرٍ**) وحمد لله (**عليها، واستعمال لها**)؛ أي: لهذه النِّعم التي جاءتهم من مال أو ولد، أو جاه أو منصب يستعملونها، هذه النعم المسداةِ التي تسببت لهم في السعادة يستعمَلُها العبدُ (**فيما ينفع**)، لا

نحيينه: فعل مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة، والفاعل ضمير مستتر فيه وجوبا تقديره نحن، والهاء ضمير متصل في محل نصب مفعول.

([١]) تفسير السعدي (٤٤٨)، بتصرف يسير.

فيما يضرُّ، (**فإذا استعملوها على هذا الوجه؛ أحدثَ لهم من**) السرور و(**الابتهاجِ بها، والطمعِ في بقائها**) واستمرارها، (**و**) رجاء (**بركَتها**) وخيراتها، (**ورجاء**) أجرها و(**ثواب الشاكرين**)؛ فمن فعل ذلك حاز (**أمورا عظيمةً**) جليلةً، (**تفوقُ بخيراتها، و**) تنمو بـ(**بركاتها هذه المسرَّات التي هي ثمراتُها**) ونتائجها.

يعني؛ أكثر من سعادة الإنسان بولده، وسعادة الإنسان بماله وجاهه، أفضل من ذلك السعادة أن يرى ولده من أهل الخير والصلاح، أن يرى في ماله إطعاما للمساكين والفقراء وما شابه ذلك، أن يرى في صحته وعافيته مساعدة الآخرين، في هذه سعادة أكثر من سعادة ذلك المال وذلك الولد مجردا عنها، هذا عندما يتلقون الأمور التي فيها ما يحبها والتي فيها ما يسر، وأما أهل الطمأنينة والسعادة ممن ابتلوا بالمكاره، فإنهم يصبرون، قال الشيخ رحمه الله:

(**ويتلقَّون المكارهَ**)؛ وهي المصائب التي تقع على الإنسان؛ أي: ما تكرهه النفوس (**و**) يستقبلون (**المضارَّ**)؛ جمع مضرة، وهي التي تضرهم وتؤذيهم؛ أي: الأذى والضَّرَّ، والتعب والألم، (**و**) يتلقون (**الهمَّ والغمَّ**)، يتلقّون ذلك كلَّه (**بالمقاومة لما يمكنُهم مقاومتُه**)، ومدافعته وصدُّه، إذا جاءت أمور يكرهها الإنسان يصدها يقاومها، (**و**) بـ (**تخفيف ما يمكنَهم تخفيفُه**)، إن كانت الصدمة كبيرة يخففونها على قدر الوسع والطاقة، (**و**) وذلك بـ(**الصبرِ الجميلِ**) الذي لا شكوى فيه، (**لما ليس لهم عنه بدٌّ**)، هناك أشياء تقع على الإنسان لا يستطيع التخلص منها، كالمصائب الدنيوية فليس لهم منها مفرٌّ.

(**وبذلك**) الصبر (**يحصلُ لهم من آثارِ المكاره**) ونتائجها (**من المقاوَمات**) والمدافَعات (**النافعة، والتجارب**) والخبرات على التحمُّلِ (**والقوَّة، ومن الصبرِ، واحتسابِ الأجر والثواب**)؛ في هَذا الذي فعلَوه، ماذا يحدث لهم؟

قال: (**أمورا عظيمةً**) جليلةً، (**تَضْمحلُّ**) وتقلُّ وتتلاشى (**معها المكارهَ**)، والمضارُّ (**وتَحُلُّ محلَّها المسارُّ**) والسعادة، (**والآمالُ الطيبةُ**) الحسنة الجميلة، (**والطَمع في**) زيادة (**فضلِ الله**) سبحانه وتعالى، (**و**) مضاعفة (**ثوابه، كما عبَّر النبيُّ ﷺ عن هذا، في الحديث الصحيحِ أنه قال**):

("**عَجَبًا لأَمْرِ الْمُؤْمِنِ؛ إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لأَحَدٍ إِلا لِلْمُؤْمِنِ؛ إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ، صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ**")، (رواه مسلم).[1]

([1]) (م) ٦٤- (٢٩٩٩).

(**فأخبر** ﷺ) أُمَّته؛ (**أنَّ المؤمن**) صادق الإيمان (**يتضاعفُ**) ويزداد (**غُنْمه وخيره**) ورزقه (**وثمراتُ أعماله**) ونتائجها (**في كلِ ما يطرقُه**) وينالُه (**من السرورِ**) والمحابِّ، (**والمكاره**) والمضارِّ.

وهنا ضرب الشيخ رحمه الله مثلاً (**لهذا**) الأمر، فقال: (**تجدُ اثنين**) من الناس، (**تطرقهما**) وتصيبهما (**نائبةٌ من نوائبِ الخير أو**) مصيبةٌ من مصائب (**الشرِ**) والأذى والضُّرِ، (**فيتفاوتان تفاوتا عظيما**)، ويختلفان اختلافا كبيرا (**في تلقيها**)، فمنهم من يشكرُ عند النعماء، ويصبر عند الضراء والبأساء، ومنهم من لا يشكرُ عند السرَّاء، ولا يصبرُ عند الابتلاء، (**وذلك بحسب**) وعلى قدر (**تفاوتهما في الإيمَان**) قوَّةً وضعفا، (**و**) واختلافهما في (**العمل الصالح**)، إخلاصا ورياء وشركًا.

(هذا الموصوفُ بهذين الوصفين)، المعترفُ بفضل وابتلائه، وهذا هو الصابر الشاكر، الذي (يتلقَّى الخير والشرَّ بما) سبق وأنْ (ذكرناه؛ من الشكرِ) عند الخير، (والصبر) عند الشر والضُّر (وما يتبعهما)، من زيادة الطاعات والعبادات، (فيحدثُ له السرور والابتهاج) عند المصائب، ويحدث له أيضا سرور وابتهاج وانشراح الصدر، واطمئنانُ القلب، (وزوالُ الهمِّ والغمِّ، والقلق، وضيقِ الصدر، وشقاءِ الحياة)، فتذهب كلُّ هذه المنغّصاتُ، (وتتمُّ له الحياةُ الطيبةَ) السعيدةُ (في هذه الدار) الدنيا.

إذن؛ عرفنا كيف يتلقّى المؤمن صادق الإيمان المحابَّ والمكارهَ بالشكْرِ والصبر فتحلُّ عليه السعادة.

(و)أمَّا (**الآخر**) وهو المؤمن ضعيف الإيمان فـ(يتلقّى المحابَّ) والنعم والمسارَّ يتلقَّاها (بأشرٍ وبطَرٍ) وشدَّة مرح (وطغيان)، (فـ)تسوء حالُه، و(تنحرفُ أخلاقُه)، وتفسدُ معاملته، (ويتلقاها) ويستقبلها بلا شكرٍ ولا حمد، (كما تتلقَّاها البهائم) العجماوات؛ (بجشع) وحرصٍ شديد، (وهلع) وجزع، (ومع ذلك) كلّه، وحصوله على المحابِّ والنعم التي جاءته؛ (فإنه غير مستريحِ القلب)، ولا مطمئنُّ الفؤاد؛ (بل مُشَتَّتُه من جهات عديدة)، ونواحٍ مختلفة، إذن الذي جاءته هذه السعادة من أسباب الدنيا من مال أو ولد أو نحو ذلك، من أي جهةٍ تأتيه المنغصات؟

منها: أنَّه (مشتَّتٌ من جهة) تفكيره و(خوفه من زوال محبوباته)، وذهاب ملاذّه وقضاء شهواته، فيخشى أن يصير حاله كما قال ﷻ: {**وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا**}، (الكهف: ٤٢).

(و) مشتتَ أيضا (مِن) جهة (كثرة المعارضات) والمنغّصات (الناشئة) والناتجة (عنها)؛ أي: عن المحابّ (غالبا)، **فالأموال** تحتاج مَن يداومُ على حفظها وصونها، كل الأمَوال اَلتي يمتلكها الإنسان لتحرسه، وبعض الناسً هو الذي يحرس المال فيبقى مشتتا، يبقى مداوَما على حفظها وصونها، والجدّ والاجتهاد في إنمائها وزيادتها، وغير ذلك من المنغصات.

(و) مشتَّت (من جهة أنّ النفوسَ لا تقفُ عند حدّ)، ولا تقنع بما تمتلكه؛ (بل لا تزال متشوقّةً) ومتشوفَةً (لأمور أخرى)، تسعى دائما فيَ امتلاكها، وتجتهدَ في تحصيلهًا؛ وانظر إلى نفسك أنت، أنت مهما تملك تريد أن تمتلك أكثر، تريد شيئا آخر مهما تملك، هذه طبيعة الإنسان، و(قد تحصل) فيمتلكُها، (وقد لا تحصل)، فيفشل في امتلاكها، (وإن حصلَت على الفرضِ والتقدير؛ فهو أيضا قَلقٌ من الجهات المذكورة)، من خوفه من فقدانها، والمعارضات والمنغصات، والتشوُّفُ لزيادتها أو الحصول على غيرهاَ.

وهذا الآخر الذي هو المؤمنَ ضعيفُ الإيمان، الذي يتلقَّى المحابَّ بالأشَرِ والبطَرِ والطغيان، قال الشيخ رحمه الله:

(و) أيضا (يتلقَّى المكاره) والنوائب والمصائب (بقلق وجزعٍ، وخوف وضجر)، لأنه ضعيف الإيمان، فقلبه غير مستريح، وفؤاده غير مطمئن، (فلا تسألْ) أخي المؤمنَ! (عمَّا يحدثُ له من شقاءٍ) في (الحياة) الدنيا، وتعاسة في المعيشة، (و) ما يصاب به (من الأمراضِ) والوساوسِ (الفكرية) المقْلقة، (والعصبيةً) والمرهقَة، (ومن الخوف) والوجل (الذي قد يصل به إلى أسوأ الحالات، وأفظع المزعجات؛ لأنه لا يرجو) مَن عند الله أجراً عَلى ما أصابه ولا (ثوابا، ولا صبر عنده يسليه ويهون عليه)، فلا يأتي على باله قولُه صَلَّى اللهُ علَيْه وسَلَّم:

("مَا من مُسْلم تُصيبه مُصيبةٌ، فَيَقُولُ مَا أَمَرَهُ اللهُ: {إِنَّا لله وإِنَّا إِلَيْه رَاجعُونَ}، اللهُمَّ أْجُرْني في مُصيبَتي، وَأَخْلفْ لِي خَيْرا منْها، إلا أَخْلَفَ اللهُ لَهُ خَيْراً منْهَا"، رواه مسلم.[1]

قال الشيخ رحمه الله:

(وكلُّ هذا) وأمثالُه (مشاهدٌ بالتجربة)، ومعروفٌ بالمعاملة، (ومثَل واحدٌ من هذا النوعِ إذا) فكرت فيه و(تدبَّرتَه) وتأملتَه، (ونزَّلْتَه على أحوالِ الناس) المؤمنين المسلمين؛ من طائعين وعاصين، ومخبتين ومضيعين، على جميع المسلمين،

---

(1) (م) ٣- (٩١٨).

فإذا تدبرت ذلك؛ (رأيت الفرقَ العظيم) والبون الواسع، (بين المؤمنِ) الصادق (العاملِ بمقتضى إيمانه)، المخلص فيه، القنوع بما آتاه الله ﷻ.

(وبين من لم يكن كذلك)؛ من ضعفاء الإيمان، كثيري الذنوب والمعاصي، غير القنوعين بما أوتوا.

(و) الفرقُ (هو أنَّ الدِّينَ يحثُّ غايةَ الحثِّ)، ويحضُّ غايةَ الحضِّ (على) الرِّضا مما أعطى الله، و(القناعة برزق الله، و) شكر الله وحمده (بما أتى العبادَ من فضله وكرمه المتنوع)، قال سبحانه: {**وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ**}، (إبراهيم: ٧)، وقَالَ رسُولُ الله ﷺ: ("**الطَّاعِمُ الشَّاكِرُ، لَهُ مِثْلُ أَجْرِ الصَّائِمِ الصَّابِرِ**")، رواه ابن ماجه والترمذي وغيرهما.[1]

قال الشيخ رحمه الله: (فالمؤمن) صادق الإيمان (إذا ابتُلي) وامتُحن (بمرضٍ) أو وجعٍ أو ألمٍ، (أو فقر)، أو تراكمت عليه الديون، فتعرض للمضايقات والسجون، (أو نحوِه مِن الأغراضِ) والكربات (التي) لا يسلم منها أحد؛ بل (كلُّ أحد عرضةٌ لها)، حتى الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ابتلوا بالمصائب الدنيوية، وكذا الصالحون.

فالمؤمن الحقيقيُّ صادقٌ في تقبُّله المحابَّ والمكاره، (فإنّه بإيمانه) وتوحيده وإخلاصه، (وبما عنده من القناعة) والتسليم، (والرضى بما قسم الله له)، سبحانه (تجده) يا طالب السعادة، ويا مبتغي الطمأنينة والراحة، تجده (قرير العين)، مطمئنَّ الفؤاد، (لا يتطلَّب بقلبه أمرا لم يُقدَّر له)، ولا يلهثُ وراء هدف لم يكتب له.

ففي أمور الدنيا (ينظر إلى من هو دونه)؛ من الفقراء والمساكين، وأصحاب البلاء، (ولا ينظر إلى من هو فوقه)، من الأغنياء والأصحاء، والملوك والوزراء.

(وربما زادت بهجته)، وفرحته (وسروره وراحته على من هو متحصِّلٌ على جميع المطالب الدنيوية، إذا لم يؤت القناعة)، عَنْ أَبِي سَعِيد الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه قَالَ: (دَخَلْتُ عَلَى رسُول الله ﷺ وهو موعوكٌ عَلَيْه قَطِيفَةٌ)؛ أي: يتألم من الحُمَّى، والقَطيفة: كساءٌ أو فراش له أَهْداب، قال أبو سعيد رضي الله عنه: (فَوَضَعْتُ يدي عَلَيْه) ﷺ، (فَوَجَدْت حرارتها فَوق الْقَطِيفَة)، من فوق الملابس الحرارة، نسأل الله السلامة، (فَقُلْتُ: ما أَشَدَّ حَرَّ حُمَّاكَ يا رسُولَ الله!) فَقَالَ رسُولُ الله ﷺ:

---

(١) (جة) (١٧٦٥)، (ت) (٢٤٨٦) صحيح الجامع: (٣٩٤٣)، الصَّحِيحَة: (٦٥٥).

("إنَّا") الضمير يعود عليه وعلى الأنبياء أجمعين (**"كَذَلكَ، يُشَدَّدُ عَلَيْنَا الْبَلَاءُ، ويَضاعَفُ لَنَا الْأَجْر"**)، و(الْبَلَاء): الْمحنة والْمصيبة. (فقُلْتُ: يا رسولَ الله! منْ أَشَدُّ النَّاسِ بلاءً؟!) قَالَ:

(**"الْأَنْبِيَاء"**)، قُلْتُ: (ثُمَّ من؟!) قَالَ:

(**"ثُمَّ الْعلَماء"**)، قُلْتُ: (ثُمَّ من؟!)، قَالَ:

(**"ثُمَّ الصَّالحُونَ، كَانَ أَحَدُهُم يبتلَى بالْفَقْر، حَتَّى مَا يَجد إلا الْعباءَةَ يَلْبَسُهَا"**)، ما في ملابس داخلية ولا غيره، فقط عباءة، (**"ويبتلَى بالْقَملِ حَتَّى يَقْتُلَه، ولأَحَدُهُمْ أَشَدُّ فَرحًا بالْبَلاء؛ من أَحَدكُمْ بالْعطَاء"**)، الحديث بزوائده عند: البيهقي والبخاري في الأدب المفرد، وابن ماجه والحاكم.[1]، يفرحون بالبلاء أشدَّ من فرح أَحدنا بالعَطاء.

قال الشيخ رحمه الله تعالى: (كما تجدُ هذا الذي ليس عندَه عملٌ بمقتضَى الإيمان، إذا ابتُلي بشيْءٍ من الفقر، أو فَقَدَ بعض المطالب الدنيوية، تجدُه في غاية التعاسة والشقاء)، فاستمعوا إلى هذا المثال:

كثير من الأغنياء الذين يستطيعون أن يحصلوا على ألذّ طعام وأشهاه، وأحسنه وأحلاه، وأجمله وأغلاه، لكنه لا يستطيع أن يتناولَه، فلا يأكل الحلوى؛ لأنه مريض بمرض السكر، ولا يتناول أطعمة معينة أو أشربه معينة؛ لأنه مريض بضغط الدم، ممنوع من اللحوم وسائر البروتينات وما شابه ذلك؛ لأن عنده النقرس، فهذا وأمثاله الذين ما نفعتْهم أموالُهم وممتلكاتُهم شيئًا، فهل هم سعداء السعادة الحقيقية؟ وهل قلوبهم مستريحة؟ وأفئدتُهم مطمئنة؟!

إذن السعادة ليست في المال فقط، المال قد يكون جزءا من السعادة.

بل إذا خيّر العاقل بين المال الوفير والغنى والثراء الغزير، وبين والمرض أو العاهة أو الحمق، أو شيء مجموع منها يخيروه بين أمرين، ماذا يختار الإنسان العاقلَ؟ يختار المال ويسير مجنون أو مريض، أو لا يختار من ذلك ويبقى على ما هو ويرفض ذلك، قَالَ الأَصْمَعيّ رحمه الله: (قُلْتُ لبِعْضِ فِتْيَانِ العَرَب) وهو شاب صغير عربي:

([1]) (هق) (٦٣٢٥)، (خد) (٥١٠)، (جة) (٤٠٢٤)، (ك) (١١٩)، (٥٤٦٣)، (٧٨٤٨)، انظر صَحِيح الْجَامِع: (٩٩٥)، الصَّحِيحَة: (٢٠٤٧)، صَحِيح التَّرْغِيبِ: (٣٤٠٣).

(أَتُحِبَّ أَنْ يَكُونَ لَكَ عَشْرَةُ آلَافِ دِينَارٍ وَأَنْ تَكُونَ أَحْمَقَ؟!) فاقدَ العقل، ويكون معك عشرة آلاف دينار من الذهبَ، لو حسبتها بالآلة الحاسبة كلُّ دينارٍ أربع جرامات وربع، أي حوالي أربعين كيلو ذهب أو أكثر، وتكون أحمق مجنونا، فَقَالَ:

(لَا وَاللَّهِ!)، ما رضي بهذا الكلام، فَقُلْتَ:

(وَلِمَ ذلك؟!) فَقَالَ:

(أَخَافُ أَنْ يَجْنِي عَلَيَّ حُمْقِي جِنَايَةً تَذْهَبُ بِمَالِي، وَتُبْقِي حُمْقِي عَلَيَّ).[1] فالمال وحده لا يدلّ على السعادة.

قال الشيخ رحمه الله تعالى: (ومثلٌ آخر: إذا حدثتْ أسبابُ الخوف)، يعني حدثت أشياء مثلا كالاجتياح، أو إنسان خاف من لص، أو مجموعة هجمت على إنسان وحدثت له أسَباب الخوف، (وأَلَمَّتْ بالإنسان المزعجات؛ تجدُ صحيحَ الإيمان؛ ثابتَ القلب، مطمئنَّ النفس، متمكّنًا من تدبيره)، يعني ليس كل ما أصابه يؤثّر عليه، نفسه مطمئنة، (وتسييره لهذا الأمر الذي دهمه بما هو في وُسعه؛ من فكْرٍ وقولٍ وعملٍ)، و (قد وطَّن نفسه لهذا المزعجِ المُلمّ، وهذه أحوالٌ تريح الإنسانَ وتثبّتُ فؤاده).

لذلك؛ جاء عن شَدَّاد بن أَوْس ﷺ قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلّم: ("**يَا شَدَّادُ بْنَ أَوْسٍ، إِذَا رَأَيْتَ النَّاسَ قَدِ اكْتَنَزُوا الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ؛ فَاكْنِزْ هَؤُلَاءِ الْكَلِمَاتِ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الثَّبَاتَ فِي الْأَمْرِ، وَالْعَزِيمَةَ عَلَى الرُّشْدِ، وَأَسْأَلُكَ مُوجِبَاتِ رَحْمَتِكَ، وَعَزَائِمَ مَغْفِرَتِكَ، وَأَسْأَلُكَ شُكْرَ نِعْمَتِكَ، وَحُسْنَ عِبَادَتِكَ، وَأَسْأَلُكَ قَلْبًا سَلِيمًا، وَلِسَانًا صَادِقًا، وَأَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ مَا تَعْلَمُ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا تَعْلَمُ، وَأَسْتَغْفِرُكَ لِمَا تَعْلَمُ، إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ**")، رواه الطبراني في الكبير وابن حبان وأحمد.[2]

أيُّها الباحثُ عن السعادة والطمأنينة! انظر إلى ما قاله الشيخ رحمه الله، قال: (كما تجدُ فاقدَ الإيمان) الصادق (بعكسِ هذه الحال؛ إذا وقعت المخاوفُ) وجاءت النائبات؛ (انزعج لها ضميره) فاضطرب، (وتوتَّرتِ أعصابه) فارتعب، (وتشتَّتت أفكاره)، وهجمت عليه وساوِسه، (وداخلَه الخوفُ والرعب، واجتمع عليه الخوفُ الخارجي)؛ من

([1]) الدر الفريد وبيت القصيد لمحمد بن أيدمر المستعصمي (٦٣٩هـ- ٧١٠هـ): (٣/ ١٦٦).

([2]) (طب) (ج٧/ ص٢٧٩ ح٧١٣٥)، (حب) (٩٣٥)، (حم) (١٧١٥٥) انظر الصَّحِيحَة: (٣٢٢٨)، صحيح موارد الظمآن: (٢٠٤٧).

أن يصيبه مكروه في بدنه، (والقلق الباطنيَّ)، والاضطراب القلبيَّ؛ (الذي لا يمكنُ التعبيرُ عن كُنْهه)، ولا التعريف عن أصله.

قال الشيخ رحمه الله: (وهذا النوع من الناس)، والصنف من البشر؛ (إن لم يحصُلْ لهم بعضُ الأسباب الطبيعيَّة التي تحتاج إلى تمرين كثير؛ انهارت قواهُم، وتوتَّرت أعصابُهم)، فأصبحوا مرضى نفسيين؛ (وذلك لفَقْد الإيمان)، ==الذي== ليس فقدُه بالكلّية! بل فقْدُ الإيمان الصادق (الذي يحمل) صاحبه (على الصبر)، ويَحضُّه على الاستسلام للقدَر، (خصوصاً في المحالّ الحرِجة، والأحوال المحزنة المزعجة).

قال الشيخ رحمه الله: (ف) الناس كلُّهم؛ (البرُّ) منهم (والفاجر، والمؤمن والكافرُ يشتركان في جلب) والحصول على (الشجاعة الاكتسابيَّة)، الشجاعة كيف يكتسبونها؟

يكتسبونها؛ بالتمرين والتعوُّد، والتشبُّه بالشجعان عند قراءة سيَرهم وقَصَصهم، (وفي الغريزة) وطبيعة الإنسان (التي تلطّفُ المخاوف)، وتخفّفُ من آثارها على النفس، (وتهونها) وتسهّلُها.

(ولكن؛ يتميَّز المؤمن) الصادقُ الإيمان (بقوة إيمانه) بالله سبحانه وتعالى، وتوحيده، (وصبره) ومصابرته، (و) صدق (توكُّله على الله)، جلَّ جلالُه، (واعتماده عليه، واحتسابه لثوابه) وأجره؛ (أمورا تزداد بها شجاعته)، فالشجاعة ليست في الجسم؛ بل الشجاعة في القلب، (وتخفّفُ عنه وطأةَ الخوف) وشدَّته، (وتهون عليه المصاعب)، وتسهّل عليه المتاعب، (كما قال) سبحانه و(تعالى):

({**إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ**}، (النساء: ١٠٤)، ويحصل لهم من معونة الله) سبحانه، (ومعينه الخاصّ)، الدائم الذى لا ينقطع ولا يذهبَ، (ومدده ما يبعثُ المخاوف)، ويذهبها، وهذه غير موجودة عند غير المؤمنين الصادقين، (وقال) سبحانه و (تعالى):

({**وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ**})، (الأنفال: ٤٦). وقال سبحانه: {**وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا**}، (الطلاق: ٣).

وهذا كله في السبب الأول، وهو الإيمان والعمل الصالح من أسباب السعادة.

٢- و عندما ذكر الشيخُ رحمه الله تعالى السببَ الأوَّلَ من الأسباب الموصلة للسعادة؛ وهو الإيمان الصادق، والعملُ الصالحُ الخالص؛ ثنَّى بالسبب **الثاني** فقال: (ومن) جُملة (الأسباب) والوسائلَ (التي تزيل الهمَّ والغمَّ والقلق)، والضيق والشدّة: (**الإحسانُ إلى الخلق**)؛ أي: الإحسان إلى خلْق الله سبحانَه من الناس والدوابّ والحشرات وغيرها، الإحسان إليها (بالقول)، فالْكَلمةُ الطّيّبةُ صدَقةٌ، قال سبحانه: {**وقُل لعبادي يَقُولُوا الَّتِي هي أَحْسَنُ إنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزَغُ بينهم إنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ للإنْسَان عَدُوًّا مبينا**}، (الإسراء: ٥٣)، بالكَلَمةَ (والفعل)، قال صَلَّى الله علَيه وسلَّم:

(«**مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ باللَّه واليوم الآخر فَلا يُؤذْ جاره، ومن كَانَ يُؤْمِنُ باللَّه واليوم الآخرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ، ومن كَانَ يُؤْمِنُ باللَّه واليوم الآخر فَلْيَقُلْ خيرا أَوْ ليصْمُتْ**»)، رواه الشيخان.[1]

وسائر (**أنواع المعروف**)، إذن بالقول والكلمة وبعدها بالفعل، والشيء الثالث سائر أنواع المعروف، أحسن إلى خلق الله، وذكرتُها هنا باختصار، وكلُّها لها أحاديث صحيحة، تدلّ عليها، فذكرت عشرين من الأشياء التي هي عبارة عن معروفات، فمن أنواع المعروف التي تجلب السعادة، وتزيل المقلقات والمنغصات، وتكسب فاعلَها أجرا وثوابا:

١) التبسم في وجه من تلاقيه، ٢) وتحيته بالسلام، ٣) والإصلاح بيْنَ الاثْنَيْن، ٤) وإعانة الآخرين ومساعدتهم، ٥، ٦) والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ٧، ٨، ٩) ورفعُ الْأَذَى، والْحَجَر، والشَّوك والْعظْم عَن طَريق النَّاس، ١٠) والنُّخاعَةُ فِي الْمَسجد تَخرجها وتَدْفنُهَا، ١١) وإِفْرَاغُكَ من دَلْوِكَ فِي دَلْو أَخِيكَ، كأَن تكونَ واقفا علَى ماء، فتقدم أخاك قبلكَ، أو تفرغَ من إناءك تعيَنه فلا مانع فهذا معرَوف له صدَقة وأجرَ، ١٢) والشَّرْبةُ من الْماء تَسقيها غيرك، ١٣) وتَسمعُ الْأَصَمَّ والْأَبْكَم بالإشارة ونحوها حتَّى يفهم، ١٤) ومساعدة الرَّجُل الرَّديء الْبصر، ١٥) وَهدايَةُ الْأَعمى، ١٦) ودلُّ الناس على الطَّرِيق، ١٧) وتدُلُّ الْمستدلّ علَى حاجة لَهُ قدْ علمتْ مكَانَها، ١٨) وتَسعى بشدَّة ساقَيْك إلَى اللهفان الْمستغيث، ١٩) وترفعُ بشدَّة ذراعيك مع الضَّعيف، ٢٠) ولَكَ في جماعك زوجتك أجر وصدَقةٌ، ويجزئ أَحدَكُم من ذَلك كُلّه، رَكْعتَان يركعهما من الضُّحى، وهذا عبارَة عن حديث طويلَ جئت بمختصراته.

فالمعروف أبوابه كثيرة ومتعدّدة، قال الشيخ رحمه الله: (وكلُّها خير) وبرٌّ (وإحسان، وبها يدفع الله عن البرِ والفاجرِ الهموم والغموم بحسبها) وبقدرهاَ.

---

(١) (خ) (٦٠١٨)، (م) ٧٥- (٤٧).

(ولكن؛ للمؤمن) الصادق (منها)؛ أي: من هذه الأمور (أكمل الحظّ والنصيب)، للمؤمن الصادق له أكمل الحظ والنصيب، فهو يختلف عن غيره (ويتميَّز بأنَّ إحسانه) ومعروفه يعني هذه التي قلناها ممكن أن تحدث من المؤمن ضعيف الإيمان، لكن المؤمن الصادق يتميز عن غيره بإحسانه بأن إحسانه ومعروفه= (صادر عن إخلاص و) نابع عن (احتساب لثوابه، فيهوِّن الله عليه بذل المعروف)، وييسّر له فعل الخيرات؛ (لما يرجوه من الخير) عند الله في الدارين، (ويدفع عنه المكاره) والمنغصات في الدارين؛ (بإخلاصه) في عمله لله سبحانه وتعالى (واحتسابه)، الأجر الثواب من عنده سبحانه وتعالى، (قال) سبحانه و (تعالى): ﴿**لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا**﴾)، (النساء: ١١٤).

[فلهذا ينبغي للعبد] المؤمن [أن يقصد وجه الله تعالى، ويخلص العمل لله في كلّ وقت] ليس في أوقات دون أوقات [وفي كلّ جزء من أجزاء الخير]؛ حتى لو كان بسيطا وسهلا، مثال على ذلك: مناولة زوجتك كوبا أو ما شابه ذلك، هذا ابتغي به وجه الله سبحانه وتعالى حتى اللقمة تضعها في فم امرأتك من باب المداعبة لك الأجر إذا نويت بها وجه سبحانه وتعالى، [ليحصل له بذلك الأجر العظيم، وليتعود الإخلاص فيكون من المخلصين، وليتمَّ له الأجر، سواء تم مقصوده أم لا]؛ يعني له نية معينة وهدف مبتغى حسن، حدث هذا أو حصل له أو لم يحصل هو فعل ما فعل وكان في ميزان حسناته إن شاء الله [لأنّ النية حصلت، واقترن بها ما يمكن من العمل]. تفسير السعدي.(١)

(فأخبر) سبحانه و (تعالى؛ أنّ هذه الأمور كلّها خير ممن صدرت منه، والخير يجلب الخير) ويزيده وينميه، (ويدفع الشرَّ) ويزيله ويقصيه، (وأنّ المؤمن) الصادق (المحتسب) يمنحه ربُّه فرجاً من كلِ ضيق، و(يؤتيه الله أجرا عظيما، ومن جملة الأجر العظيم؛ زوالُ الهمّ والغمّ والأكدار) والمنغصات (ونحوها).

عَنْ الْأَسْوَدِ قَالَ: (دَخَلَ شَبَابٌ مِنْ قُرَيْشٍ عَلَى عَائِشَةَ) أم المؤمنين (رضي الله عنها وهي بمنى)، إذن الوقت وقت حجٍ، وفي وقت الحجِ؛ الخيام منصوبة ولها حبالٌ، يقال لحبل الخيمة: طنب، دخلوا عليها (وَهُمْ يَضْحَكُونَ)، فَقَالَتْ:

(مَا يُضْحِكُكُمْ؟!) قَالُوا: (فُلَانٌ خَرَّ عَلَى طُنُبِ فُسْطَاطٍ)؛ أي: سقط على الْحَبْل الَّذي تشد به الخيمة، (فَكَادَتْ عَيْنُهُ أَنْ تَذْهَبَ)، هذه أوتاد ظاهرة، فضحكوا (فَقَالَتْ):

---

(١) تفسير السعدي (ص: ٢٠٢).

(لَا تَضْحَكُوا فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ، يَقُولُ): ("مَا مِنْ مُصِيبَةٍ يُصَابُ بِهَا الْمُسْلِمُ")؛ ("حَتَّى الشَّوْكَةِ يُشَاكُهَا")، ("إِلَّا رَفَعَهُ اللهُ بِهَا دَرَجَةً أَوْ حَطَّ عَنْهُ بِهَا خَطِيئَةً")، الحديث بزوائده عند: الشيخين وغيرهما.[1]

تضحكون على إنسان اكتسب حسنة، اكتسب أجرا حط خطيئة ورفع درجة.

٣- وبعد الإيمان والعمل الصالح والإحسان إلى الخلق ذكر الشيخ رحمه الله الوسيلة الثالثة من الوسائلِ والأسباب التي تجلب السعادة فقال الشيخ رحمه الله:

(فصل)

(ومن أسبابِ دفعِ القلقِ الناشئِ عن توتُّرِ الأعصاب، واشتغالِ القلبِ ببعضِ المكدِّرات) والمنغصات:

(الاشتغالُ بعملٍ من الأعمال، أو علمٍ من العلوم النافعة)، الدنيوية أو الأخروية، (فإنها تُلْهِي القلبَ عن اشتغاله بذلك الأمرِ الذي أَقْلَقَه)، ووتَّره وأزعجه، (وربَّما نسي بسببِ ذلكَ) الانشغال بالعمل أو العلم (الأسباب التي أوجبتَ له الهمَّ والغم)، والأكدار والمنغصات، (ففرحت نفسه)، وانفرجت أساريره، (وازداد نشاطُه)، وابتهج فؤاده، (وهذا السبب -أيضا- مشتركٌ بين المؤمنِ وغيره)؛ أي: سبب هذا؛ أنك تنشغل عن ما أنت به من مصيبة، سبَّبت لك القلق والألم تنشغل عنها بشيء آخر يكون نافعا من أعمال الدنيا أو الآخرة.

(ولكن المؤمن) الصادقَ (يمتاز) عن غيره (بإيمانه وإخلاصه، واحتسابه في اشتغاله بذلك العلم الذي يتعلَّمه أو يعلِّمُه)، دنيويٌّ أو أخروي، (ويعمل الخير الذي يعلمه؛ إنْ كانَ عبادةً فهو عبادةٌ، وإنْ كانَ شغلاً دنيويًّا)، من تجارة أو صناعة أو زراعة، (أو عادةً دنيوية)؛ من مأكلٍ أو ملبسٍ أو مسكنٍ، أو زوجة أو أولاد، (أَصحبها النيةَ الصالحة)،

---

(1) (خ) (٥٦٤٠). (م) ٤٦، ٤٧، ٤٩- (٢٥٧٢)، (ت) (٩٦٥)، (حم) (٢٤١٥٦).

حتى الأمور الدنيوية لو أصحبتها النية الصالحة تأخذ الأجر والثواب، فقد قال ﷺ لسَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ رَضِيَ اللَّهُ تعالى عنه:

(«... **إِنَّكَ أَنْ تَذَرَ وَرَثَتَكَ أَغْنِيَاءَ، خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَذَرَهُمْ عَالَةً يَتَكَفَّفُونَ النَّاسَ، وَإِنَّكَ لَنْ تُنْفِقَ نَفَقَةً تَبْتَغِي بِهَا وَجْهَ اللَّهِ إِلَّا أُجِرْتَ بِهَا، حَتَّى مَا تَجْعَلُ فِي فِي امْرَأَتِكَ**»)، رواه البخاري.[1]

يعني أي شيء تفعله من الأمور الدنيوية تبتغي بها وجه الله ما دامت حلالاً لا تخالف أمر الله أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فهذا لك فيها أجر، وأيضا يقصد الاستعانة، قال رحمه الله:

(وَقَصَدَ الاستعانةَ بذلك على طاعة الله، فلذلك أثرُه الفعّالُ في دفعِ الهمّ والغمومِ والأحزان، فكم من إنسان ابتُلي بالقلقِ وملازمة الأكدار، فحلَّت به الأمراضُ المتنوعة فصار دواؤُه الناجع؛ نسيانَه السَبب الذي كدَّره وأقلقه، واَشتغالَه بعملٍ من مهماته).

قال الشيخ رحمه الله: (وينبغي أنْ يكونَ الشغل الذي يشتغل فيه)، والعمل الذي يقوم به (مما تأنس به)، وتميل إليه (النفس وتشتاقه)؛ لا يجبر النفس على عمل لا تريده، بل يأخذ منها ما تريد هي من الأعمال، لكن يبعدها عما هو حرام، ويأخذ بالأشياء المباحة والجائزة والمشروعة، فالنفوس تختلف في ميولها، فمنها ما يميل إلى النجارة أو التجارة أو الزراعة أو حتى الرياضة، (فإن هذا أدعى لحصول هذا المقصود النافع، والله أعلم).

يعني هذا ربما ينسي نفسه بفعل الرياضة مثلا أو بقراءة كتاب أو سيرة أو قصة أو نحو ذلك، جاء في موطّأ الإمام مَالك رحمه الله؛ عَنِ الصَّلْتِ بْنِ زُيَيْدٍ، أَنَّهُ قَالَ:

(سَأَلْتُ سليمانَ بْنَ يَسَارٍ عَنِ الْبَلَلِ أَجِدُهُ؟)، يعني بعد أن يقوم وينظف نفسه يجد في لباسه بللا، وأريد من إخواني من عنده وسواس في الطهارة أن يستمعوا لهذا الأمر، فماذا قال له سليمان بن يسار؟

فَقَالَ: (انْضَحْ مَا تَحْتَ ثَوْبِكَ بِالْمَاءِ، وَالْهَ عَنْهُ).[2] يعني افعل فعل عمر رضي الله عنه، خذ كفًّا من ماء واسكبه في الخارج، وافتح السراويل وانفض هناك، واله عنه لا تفكر فيه، فإذا فكرت فيه ستدخل في الوسوسة.

---

[1] (خ) (١٢٩٥).
[2] (ط) (٩٩).

قال: فإذا لَهَوتَ عن أمرٍ نسيتَه، وزالتْ آثاره المقلقة.

٤- السبب الرابع من الأسباب الموصلة للسعادة: قال الشيخ رحمه الله:

(ومما يدفع به الهم والقلق: اجتماع الفكر كله على الاهتمام بعمل اليوم الحاضر، وقطعه عن الاهتمام في الوقت المستقبل)، في المستقبل اقطع اهتمامك لأنك لا تعلم ما تريد الآن، وعن الحزن على الوقت الماضي، اقطع نفسك عن هذه الأمور، أنت ابن يومك، (ولهذا استعاذ النبي ﷺ من الهم والحزن)، فكان يقول:

(«**اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الهَمِّ وَالحَزَنِ، وَالعَجْزِ وَالكَسَلِ، وَالجُبْنِ وَالبُخْلِ، وَضَلَعِ الدَّيْنِ، وَغَلَبَةِ الرِّجَالِ**»)، رواه البخاري.[1]

قال الشيخ رحمه الله: (فالحزنُ على الأمور الماضية التي لا يمكنُ ردُّها ولا استدراكُها)، والحزن لا يغيِّرَ شيئًا، (والهمُّ الذي يحدثَ بسببِ الخوف من المستقبل)، لَا يجلب َطمأنينةَ ولا سعادةً.

قال سبحانه مخاطبا المؤمنين الصادقين: {**لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ**}، (الحديد: ٢٣)، وقال سبحانه: {**لِكَيْلَا تَحْزَنُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَا أَصَابَكُمْ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ**}، (آل عمران: ١٥٣).

فعلى المؤمنين أنْ [يبنوا عليها ما أصابهم من الخير والشر]، عن هذه الآية [**فلا يأْسوا ولا يحزنوا** على ما فاتهم؛ مما طمحت له أنفسهم، وتشوفوا إليه]، وفاتهم هذا الأمر لا يبقى حزينا عليه؛ [لعلمهم أنّ ذلك مكتوب في اللوحِ المحفوظ]، وهكذا المؤمن يعلم أن ما فاته ولم يصبه ليس مكتوبا له ولا عليه، فـ [لا بُدَّ من نفوذه ووقوعه، فلا سبيل إلى دفعه، **ولا يفرحوا** بما آتاهم الله] سبحانه وتعالى، [فَرحَ بطَر وأَشر؛ لعلْمهم أنّهم ما أدركوه بحولهم وقوّتهم؛ وإنما أدركوه بفضلِ الله ومنّه] وكرمه، [فيشتغلوا بشكرِ من أولى النّعم، ودفعَ النّقم]. تفسير السعدي.[2]، يشتغلون بحمد وَشكر من أولى النعم، وأولى فَعل ماضي أولى، ودفع النقمَ سبحانه وتعَالى.

([1]) (خ) (٦٣٦٩).

([2]) تفسير السعدي (ص: ٨٤٢).

(فيكون العبدَ) المؤمن (ابنَ يومِه؛ يجمعُ جدَّه واجتهاده)، ويُشغِلُ وسْعَه وطاقتَه (في إصلاحِ يومه ووقته الحاضر)؛ لأنّ الماضي لا يُدرَكُ عمل شيء فيه، والمَستقبل الله أعلم بما فيه، (فإنَّ جَمْعَ القلبِ على ذلك يوجب تكميل الأعمال)، وإتمامها على أحسنِ حالٍ، (ويتسلَّى به العبدَ)، ويحصل له العزاء (عن الهمّ والحَزَن).

(والنبيُّ ﷺ؛ إذا دعا بدعاء، أو أرشَدَ أُمَّتَه إلى دعاء فهو يحثُّ –مَعَ الاستعانة بالله، والطمعِ في فضله– على الجدّ والاجتهاد) والمثابرة (في التحقُّق لحصول ما يدعو بحصُولِه) من المحابّ، (والتخلّيَ عما كان يدعو لدفعه) من المكاره؛ (لأنّ الدعاء مقارنٌ للعمل)، فدعاء بدون عمل لا ينفع، لا بدّ أن يكون الدعاء مع العمل، ما دمت تقول: رب اغفر لي ذنوبي! ابتعد عن الذنوب، لا تبقي في الذنوب حتى يستجاب الدعاء.

خذ بالسبب، فإذا دعوت: ارزقني زوجة صالحة! ابحث عن زوجة صالحة، ارزقني الولد الصالح! ابحث عن هذا الشيء بأسبابه، هكذا يكون.

كذلك التخلي عن كل ما يدعو إلى المكاره؛ لأن الدعاء مقارن للعمل، (فالعبدَ يجتهدَ فيما ينفعه في الدين والدنيا، ويسأل ربَّه) سبحانه وتعالى ويرجو خالقَه ورازقَه (نجاح مقصده) ومراده، (ويستعينَه)؛ أي: يستعين الله على ذلك، (على ذلك)، ويسأله التوفيق، (كما قال ﷺ):

(«... احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِاللهِ وَلَا تَعْجَزْ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ، فَلَا تَقُلْ: لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ قَدَرُ اللهِ وَمَا شَاءَ فَعَلَ، فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ»)، رواه مسلم.[1]

فاسع يا عبد الله! واجتهدْ واعمل الآن على ما ينفعك، ولا تستسلم لما مضى وانقضى، مع التوكُّل على الله والاستعانة به.

قال الشيخ رحمه الله: (فجمع ﷺ بين **الأمرِ بالحرصِ** على الأمور النافعة في كلِ حال)، احرص على ما ينفعك (**والاستعانة بالله**، وعدمِ الانقياد للعجزِ الذي هو الكسلِ الضارُّ)، من جهة، (**وبين الاستسلام للأمور الماضية النافذة**، ومشاهدة قضاءِ الله وقَدَرِه).

([1]) (م) ٣٤- (٢٦٦٤).

(وجعل) ﷺ (الأمور قسمين: **قسما** يمكنُ العبدُ السعيَ في تحصيله، أو تحصيلِ ما يمكنُ منه، أو دفعه أو تخفيفه، فهذا يبدي فيه العبدُ مجهودَه، ويستعين بمعبوده). للوصول للسعادة المنشودة.

(**وقسْمًا** لا يمكن فيه ذلك)؛ العبد ليس له فيه حول ولا قوة، (فهذا يطمئنُّ له العبدَ) له، (ويرضى) به (ويسلّم) تسليماَ، (ولا ريب أنّ مراعاةَ هذا الأصلِ سببٌ للسرورِ)، وراحةٌ للقلب، (وزوالُ الهم والغم).

٥- وهذا سبب خامس: قال الشيخ رحمه الله:

(فصل)

(ومن أكبرِ الأسبابِ لانشراحِ الصدرِ وطمأنينته: الإكثار من ذكر الله)، قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وسَلَّمَ:

(" أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرِ أَعْمَالِكُمْ، وَأَزْكَاهَا عِنْدَ مَلِيكِكُمْ، وَأَرْفَعِهَا فِي دَرَجَاتِكُمْ، وَخَيْرٌ لَكُمْ مِنْ إِنْفَاقِ الذَّهَبِ وَالْوَرِقِ، وَخَيْرٌ لَكُمْ مِنْ أَنْ تَلْقَوْا عَدُوَّكُمْ؛ فَتَضْرِبُوا أَعْنَاقَهُمْ وَيَضْرِبُوا أَعْنَاقَكُمْ؟!") قَالُوا: (بَلَى!) قَالَ: **("ذِكْرُ اللَّهِ تَعَالَى")**.

لأنه ليس فيه تكليف لا في مال ولا في جهد، ذكر الله سبحانه وتعالى عظيم، وشأنه عظيم لذلك، قَالَ مُعَاذُ بْن جَبَلٍ: (مَا شَيْءٌ أَنْجَى مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ)، رواه الترمذي وابن ماجه وأحمد.[1]

(فإن لذلك) الذكر المستمر (تأثيرا عجيبا في انشراحِ الصدرِ وطمأنينته)، وسعادته، (وزوال همّه وغمّه، قال تعالى: {**أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ**}، (الرعد: ٢٨).

فَلِذِكْرِ الله أثرٌ عظيمٌ في حصول هذا المطلوب لخاصيَّته، ولما يرجوه العبدُ من ثوابه وأجْره).

٦- والسبب السادس من أسباب السعادة: التحدث بالنعم، قال الشيخ رحمه الله:

(وكذلك التحدّثُ بنعمِ الله الظاهرة والباطنة)، قال سبحانه وتعالى ممتنًّا على عباده: {**أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً**}، (لقمان: ٢٠)، [أي: عمّكُم وغمركُم نعمه؛

---

[1] (ت) (٣٣٧٧)، (جة) (٣٧٩٠)، (حم) (٢١٧٠٢)، قال الأرناؤوط: إسناده صحيح، صَحِيح الْجَامِع: (٢٦٢٩)، صَحِيح التَّرْغِيبِ: (١٤٩٣).

الظاهرةَ والباطنةَ؛ التي نعلم بها، والتي تخفى علينا، نعم الدنيا، ونعم الدين، وحصولَ المنافع، ودفع المضار، فوظيفتكم أنْ تقوموا بشُكرِ] الله على [هذه النعم؛ بمحبَّة المنعمِ والخضوعِ له، وصرفها في الاستعانة على طاعته، وأن لا يُستعانَ بشيء منها على معصيته]. تفسير السَعدي.[1]

(فإنّ معرفتَها)؛ أي: معرفةَ النعم، (والتحدُّثَ بها؛ يدفعُ اللهُ به الهمَّ والغمَّ، ويحثُّ العبدَ على الشكرِ، الذي هو أرفعُ المراتب وأعلاها، حتى ولو كانَ العبدُ في حالة فقر) مدقعٍ، (أو مَرضٍ) موجعٍ، (أو غيرهما من أنواع البلايا)، والمصائب والرزايا؛ (فإنَّه إذا قابل بين نعمِ الله عليه التي لا يُحصى لها عدٌّ ولا حسابٌ، وبين ما أصابه من مكروه، لم يكنْ للمكروه إلى النعمِ نسبة).

والأمور ليس كما يتخيَّلُها أهل البطالة؛ البطالون الكسالَى، قال الشيخ رحمه الله:

(بل المكروهَ والمصائبَ إذا ابتلَى اللهُ بها العبدَ، وأدَّى فيها وظيفةَ الصبرِ، والرضى والتسليم، هانَت وطأتُها، وخفَّتْ مُؤْنتُها، وكان تأمُّلُ العبد لأجرِها وثوابِها، والتعبُّد لله بالقيامِ بوظيفة الصبرِ والرضى؛ يدعُ الأشياءَ المرَّةَ حلوةً! فتنسيه حلاوةُ أجرِها مرارةَ صبرِها).

٧- أما سابعُ الأسبابِ الموصلة للسعادة: قال الشيخ رحمه الله: (ومن أنفعِ الأشياء في هذا الموضعِ؛ استعمالُ ما أرشدَ إليه النبيُّ ﷺ في الحديث الصحيحِ حيث قال):

(« **إذَا نَظَرَ أَحدُكُمْ إِلَى مَنْ فُضّلَ عَلَيْهِ فِي المَالِ والخَلْقِ؛ فَلْيَنْظُرْ إِلَى مَنْ هُوَ أَسفَلَ منْهُ** »)، (خ).[2]

وفي رواية مسلم: (« **انْظُرُوا إِلَى مَنْ هُوَ أَسفَلَ منْكُمْ، وَلَا تَنْظُرُوا إِلَى مَنْ هُوَ فَوْقَكُمْ، فَهُوَ أَجْدَرُ أَنْ لَا تَزْدَرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ** »)، (مسلم).[3]

(فإنَّ العبدَ إذا نَصب بين عينيه هذا الملحظَ الجليل، رآه يفوقُ جمعاً كثيرا من الخلق في) الصحة و(العافية وتوابعها، وفي الرزق وتوابعه، مهما بلغت به الحالُ، فيزولُ قلقُه)، ويطمئنُّ قلبه، (و) يتلاشَى (همُّه وغمه)، وينشرح صدره، (ويزدادُ سروره واغتباطه بنعمِ الله التي فاقَ فيها غيره ممَّن هو دونه فيها).

([1]) تفسير السعدي (ص: ٦٤٩).

([2]) (خ) (٦٤٩٠)، (م) ٨- (٢٩٦٣).

([3]) (م) ٩- (٢٩٦٣)، (ت) (٢٥٠٨)، (جة) (٤١٤٢)، (حم) (٧٤٤٩).

قال الشيخ رحمه الله: (وكلَّما طالَ تأمُّلُ العبد) وتدبُّره وتفكُّره (بنعم الله) الجليلة، (الظاهرة والباطنة، الدينية والدنيوية؛ رأى ربَّه) المنعم المتفضِّل (قد أعطاه) ومنَحه (خيرا كثيرا، ودفع عنه) وصرف (شرورا متعدِّدة، ولا شكَّ أنَّ هذا يدفع الهموم والغموم، ويوجِب الفرح والسرور)، والابتهاج والانشراح.

٨- أما السبب الثامن للحصول على السعادة؛ نسيان ما حصل من المكاره: قال الشيخ رحمه الله:

(فصل)

(ومن الأسباب الموجبة للسرور، وزوال الهمِّ والغمِّ: **السعي في إزالة الأسباب الجالبة للهموم**، وفي تحصيلِ الأسباب الجالبة للسرور؛ وذلك بنسيان ما مضى عليه من المكاره التي لا يمكنه ردُّها، ومعرفته أنّ اشتغالَ فكرِه فيها من بابِ العبثِ والمحال، وأنَّ ذلك حُمْقٌ وجنونٌ، فيجاهدُ قلبه عن التفكُّرِ فيها،

وكذلك يجاهدُ قلبه عن قلقه لما يستقبلُه، مما يتوهَّمه؛ من فقرٍ أو خوف أو غيرهما من المكاره، التي يتخيَّلُها في مستقبلِ حياته، فيعلم أنّ الأمورَ المستقبلةَ مجهولٌ ما يقعُ فيها؛ من خيرٍ وشرٍّ، وآمالٍ وآلامٍ، وأنَّها بيد العزيزِ الحكيم، ليس بيد العباد منها شيءٌ؛ إلا السعي في تحصيلِ خيراتها، ودفعِ مضرّاتها.

ويعلمُ العبدُ أنّه إذا صرفَ فكْرَه عن قلقه من أجلِ مستقبلِ أمره، واتَّكَلَ على ربِّه في إصلاحه، واطمأنَّ إليه في ذلك، إذا فعل ذلك؛ **اطمأنّ** قلبه وصلَحت أحواله، وزالَ عنه همُّه) وتلاشى (وقلقُه).

٩- وأما تاسع الأسباب الجالبة للسعادة، فما قاله الشيخ رحمه الله: (ومن أنفع ما يكون في ملاحظة مستقبل الأمور: استعمال هذا **الدعاء** الذي كانَ رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم، يقولُه:

("**اللهُمَّ أَصْلِحْ لِي دِينِي الَّذِي هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِي، وَأَصْلِحْ لِي دُنْيَايَ الَّتِي فِيهَا مَعَاشِي، وَأَصْلِحْ لِي آخِرَتِي الَّتِي فِيهَا مَعَادِي، وَاجْعَلِ الْحَيَاةَ زِيَادَةً لِي فِي كُلِّ خَيْرٍ، وَاجْعَلِ الْمَوْتَ رَاحَةً لِي مِنْ كُلِّ شَرٍّ**")، (رواه مسلم).[1]، اللهم آمين.

(وكذلك قوله) صلَّى الله عليه وسلَّم: («**اللَّهُمَّ رَحْمَتَكَ أَرْجُو، فَلَا تَكِلْنِي إِلَى نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ، وَأَصْلِحْ لِي شَأْنِي كُلَّهُ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ**»)، (رواه أبو داود بإسناد صحيح).[2]

---

(١) (م) ٧١- (٢٧٢٠).

(٢) (د) (٥٠٩٠)، (خد) (٧٠١)، وانظر صَحِيح الْجَامِع: (٣٣٨٨)، صَحِيح التَّرْغِيبِ: (١٨٢٣).

قال الشيخ رحمه الله: (فإذا لهج العبدُ بهذا الدعاء الذي فيه صلاح مستقبله الديني والدنيوي) وأكثر منه، وكان هجّيراه،[1] (بقلبٍ حاضرٍ، ونيَّة صادقة) خالصة، (مع اجتهاده فيما يحقّق ذلك؛ حقَّق الله له) مراده، ويحقّق له (ما دعاه ورجاه وعمل له، وانقلب همُّه فرحا وسرورا)، وامتلأ صدرهَ انشراحا، وقلبه طمأنينة.

وكذلك ما ثبت عن عبد الله بن مسعود ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلَّم:

("**ما أَصَابَ أَحَدًا قَطُّ هَمٌّ وَلَا حَزَنٌ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ، ابْنُ عَبْدِكَ، ابْنُ أَمَتِكَ، نَاصِيَتِي بِيَدِكَ، مَاضٍ فِيَّ حُكْمُكَ، عَدْلٌ فِيَّ قَضَاؤُكَ، أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ، سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ، أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ، أَوِ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ، أَنْ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ رَبِيعَ قَلْبِي وَنُورَ صَدْرِي، وَجِلَاءَ حُزْنِي، وَذَهَابَ هَمِّي؛ إِلَّا أَذْهَبَ اللهُ هَمَّهُ وَحُزْنَهُ، وَأَبْدَلَهُ مَكَانَهُ فَرَحًا**"، فقيل: (يا رسولَ الله، أَلَا نتعلَّمها؟!) فقَالَ: ("**بَلَى، يَنْبَغِي لِمَنْ سَمِعَهَا أَنْ يَتَعَلَّمَهَا**"، راوه أحمد وابن أبي شيبة، وأبو يعلى والطبراني في الكبير.[2]

ومن الأسباب والوسائل والطرق المؤدية للسعادة:

١٠- عاشر الأسباب؛ وهو تقديرُ أسوأ الاحتمالات فيوطّن نفسه على ذلك، عند المصائب بأن يوطن نفسه على أسوأ الاحتمالات، فتأتيك المصيبة التي عندَك أنها ليستَ الأسوأ، وهذا ما قاله الشيخ رحمه الله:

(فصل)

(ومن أنفعِ الأسباب) وأنجعها (لزوال القلق) والاضطراب، (والهموم) والغموم، (إذا حصل على العبد من النكبات؛ **أنْ يسعى** في تخفيفها؛ بأنْ يُقدّر أسوأَ الاحتمالات التي ينتهي إليها الأمر، ويوطّن على ذلك نفسه، فإذا فعل ذلك فليسع إلى تخفيف ما يمكن تخفيفُه بحسب الإمكان، فبهذا التوطين وبهذا السعي النافع؛ تزولُ همومه وغمومه، ويكون بدلَ ذلك: السعي في جلبِ المنافع، وفي دفعِ المضارِ الميسورةِ للعبد). والمستطاعة والمقدورة.

---

(١) هِجّيراه كَلَامه ودأبه وشأنه، غريب الحديث- أبو عبيد- ط، الهندية (٣/ ٣١٨).

(٢) (حم) (٣٧١٢)، (ش) (٢٩٣١٨) (يع) (٥٢٩٧)، (طب) (١٠٣٥٢)، انظر الصَّحِيحَة: (١٩٩)، صَحِيح التَّرْغِيبِ: (١٨٢٢).

أُثِرَ عن عمرَ بن الخطاب رضي الله تعالى عنه؛ أنه قال: (ما ابتُليتُ ببليَّة؛ إلاّ كان لله عَليَّ فيها **أربعُ نعَم**)؛ كلُّ مصيبَة كان يشعر بها أربع نعم، مصيبة تأتي بأربع نعم! استمع إلى عَمر ﷺ وتشبه به يا عبد الله، النعمة **الأُولى** في المصيبة:

(إذْ لم تكن في **ديني**)، مصيبة دنيوية، إذن هينة ما دامت ليست في الدين، هذه نعمة.

والنعمة **الثانية** في المصيبة الدنيوية: (وإذ لم أحرم **الرضا**). أي: رضي واستسلم بقضاء الله وقدره.

والنعمة **الثالثة** في المصيبة: (وإذ لم تكن **أعظم**)، الحمد لله أنها ما كانت أكبر مما هي عليه، أو أسوأ.

والنعمة الرابعة في المصيبة: (وإذْ رجوت **الثواب** عليها).[1] فرجاء الثواب على المصيبة نعمة.

إذن؛ أربع نِعم للمؤمنِ في مصيبته، يقول عمر: إذ لم تكن في ديني، وإذ لم أحرم الرضا، وإذ لم تكن أعظم، وإذ رجوت الثواب عليها.

قال الشيخ رحمه الله: (فإذا حلَّتْ به أسبابُ **الخوف**، وأسباب **الأسقام**، وأسباب **الفقر**، والعُدْم)،[2] والفَقْد (لما يحبُّه من المحبوبات المتنوعة؛ **فليتلَقَّ** ذلكَ بطمأنينة وتوطين للنفس عليها؛ بل على أشدّ ما يمكن منها، فإنّ توطين النفسِ على احتمال المكاره **يهوِّنُها** ويزيل شدَّتَها، وخصوصًا إذا أشغل نفسه بمدافعتها بحسب مقدوره، فيجتمع في حقّه؛ **توطين** النفسِ، مع **السعيِ النافعِ** الذي **يشغل** عن الاهتمام بالمصائب)، يعني أُلْه عنه كما قلنا، والشق الثاني من العشرة الباقية هذه، كلها تقريبا تأكيد لما مضى بأساليب حسنة وطيبة، لا تحتاج إلى شرح طويل؛ لأن الشرح سبق، فمعظم الأسباب الباقية كأنها توكيد أو شرح أو توضيح لما مضى، قال: فيشغل (نفسه بمدافعتها بحسب مقدوره، فيجتمع في حقّه؛ **توطين** النفسِ، مع **السعيِ النافعِ** الذي **يشغل** عن الاهتمام بالمصائب، **ويجاهد** نفسه على تجديد قوَّته المقاومة للمكاره، مع **اعتماده** في ذلك على الله، **وحسنِ** الظنِ به، و(الثقة به) سبحانه.

(**ولا ريب**) ولا شكَّ (أنّ لهذه الأمور فائدتُها العظمى في حصول السرور، وانشراحِ الصدور، مع ما يؤمِّله العبدُ من الثوابِ العاجلِ والآجل، وهذا مشاهَدٌ مجرَّبٌ، ووقائعه ممن جرَّبه كثيرةٌ جدًّا).

([1]) بدائع السلك في طبائع الملك لابن الأزرق (ت ٨٩٦هـ) (١/ ٥٤٤)، فيض القدير (٢/ ١٣٤).

([2]) نحو (الجَحَد والجُحْد، والصلب والصلب، والرُّشْدُ والرَّشَد، والحزن والحزن. (الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (٥/ ١٩٨٢).

١١- حادي عشر هذه الأسباب، قال الشيخ رحمه الله:

(فصل)

(ومن أعظم العلاجات)، والأدوية الشافيات (لأمراض) وآفات (القلب العصبية؛ بل وأيضًا للأمراض البدنية)، وسائر الأوجاع الجسمية، (**قوة القلب**، وعدم انزعاجه) من المزعجات، (و) عدم (انفعاله للأوهام والخيالات، التي تجلبها الأفكار السيئة؛ لأن الإنسان متى استسلم للخيالات؛ وانفعل قلبه للمؤثرات) المزعجات؛ (من **الخوف** من الأمراض وغيرها، ومن **الغضب** والتشوش من الأسباب المؤلمة، ومن **توقع حدوث المكاره**، وزوال المحاب)، فإذا استسلم؛ (أوقعه ذلك في الهموم والغموم، والأمراض القلبية والبدنية، والانهيار العصبي، الذي له آثاره السيئة التي قد شاهد الناس) نتائجها السيئة، و(مضارها الكثيرة).

١٢- ثاني عشر هذه الأسباب، قال الشيخ رحمه الله: (ومتى اعتمد القلب) بكليته (على الله، وتوكل عليه، ولم يستسلم للأوهام، ولا ملكته الخيالات السيئة، ووثق بالله) جل جلاله، (وطمع في فضله) تقدست أسماؤه؛ (**اندفعت** عنه بذلك الهموم والغموم، وزالت عنه كثير من الأسقام البدنية والقلبية، وحصل للقلب من القوة) الوافية، (والانشراح) الكامل، (والسرور) والبهجة؛ (ما لا يمكن التعبير عنه).

واستمعوا لهذا الأمر في هذا الوقت، قال: (فكم ملئت المستشفيات من مرضى الأوهام والخيالات الفاسدة)، والوساوس المقلقة؛ (وكم أثرت هذه الأمور على قلوب كثير من الأقوياء، فضلاً عن الضعفاء؛ وكم أدت إلى الحمق والجنون؟!)

(والمعافى من عافاه الله، ووفقه لجهاد نفسه؛ لتحصيل الأسباب النافعة المقوية للقلب؛ الدافعة لقلقه، قال) سبحانه و (تعالى): ({**وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ**}، (الطلاق: ٣)، أي: كافيه جميع ما يهمه من أمر دينه ودنياه).

قال الشيخ رحمه الله: (**فالمتوكل** على الله؛ قوي القلب، لا تؤثر فيه الأوهام، ولا تزعجه الحوادث؛ **لعلمه** أن ذلك من ضعف النفس، ومن الخور والخوف الذي لا حقيقة له)؛ يعني: خوف ومرض وآلام يشعر بها، لكن ليس حقيقة، ليس لها وجود، ومع ذلك نفسيًّا موجودة، قانونيًّا يضطرب قلبه، نسأل الله السلامة، فهذا الخوف لا حقيقة له، (**ويعلم** مع ذلك؛ أن الله قد تكفل لمن توكل عليه **بالكفاية** التامة، فيثق بالله)، جل جلاله، (ويطمئن لوعده، فيزول

همُّه وقلقَه، ويتبدَّلُ عسره يسرا، وترحه) وحزنَه (فرحا، وخوفُه أمنا، فنسأله تعالى) العفو و(العافية)، في الدين والدنيا والآخرة، (وأنْ يتفضَّل علينا **بقوّة** القلب وثباته، **بالتوكُّل** الكاملِ الذي تكفَّل اللهُ لأهله بكلِّ خير)، وسعادة وطمأنينة، (ودفْعِ كلِّ مكروه وضير)، وأذى وضرر.

١٣- ثالث عشر هذه الأسباب، قال الشيخ رحمه الله:

(فصل)

(وفي قول النبي ﷺ):

(«**لَا يَفْرَكْ مُؤْمِنٌ مُؤْمِنَةً، إِنْ كَرِهَ مِنْهَا خُلُقًا؛ رَضِيَ مِنْهَا آخَرَ**»، أَو قَالَ: "**غَيْرَه**"). (رواه مسلم)،[1]

هذا الحديث فيه (فائدتان عظيمتان):

قال الشيخ رحمه الله: (**إحداهما**: الإرشاد إلى معاملة الزوجة، والقريب، والصاحب، والمعامل، وكلِّ من بينك وبينه عُلْقَةٌ واتصال، وأنه ينبغي أنْ توطِّن نفسك على أنّه لا بد أن يكون فيه عيبٌ أو نقصٌ)، يعني صاحبك، زوجتك، ولدك، أي إنسان لا بد أن يكون فيه عيب أو نقص، الكل عنده عيوب، وعنده نقص، فكيف نقابل عيوب الآخرين ونقصهم؟

قال: (توطِّن نفسك على أنّه لا بد أن يكون فيه عيبٌ أو نقصٌ، أو أمر تكرهه؛ فإذا وجدْت ذلك؛ فقارنْ بين هذا، وبين ما يجب عليك، أو ينبغي لك من قوة الاتصال والإبقاء على المحبَّة، بتذكُّر ما فيه من المحاسن) والإيجابيات، يعني بالنسبة للزوجة أو الولد تذكَّر -إن رأيت عيبا منهم أو نقصا فيهم- تذكَّر ما فيهم من خصال خير وإيجابيات، وأفعال حسنة، لا تذهبها تلك السيئة، وذاك العيب في ذلك الوقت، تذكَّر ذلك يا عبد الله، أصلح هذا الأمر، وقوِّم ذاك العيب، لكن بأسلوب حسنٍ، لا تنس ما سبق منه؛ من إحسان ومحاسن وإيجابيات، (و) كذلك (المقاصد الخاصّة والعامة)، يعني يحدث لك نوعاً من إغضاء وليس الترك مطلقا، ولكن إغضاء، قال: (وبهذا الإغضاء عن المساوئ) والسلبيّات، (وملاحظة المحاسن؛ تدوم الصحبةُ والاتصال، وتتمُّ الراحةُ وتحصل لك) الطمأنينة والسعادة.

([1]) (م) ٦١- (١٤٦٩). (يفْرَكْ)، أَيْ: لَا يُبْغِض.

قال الشيخ رحمه الله: (**الفائدة الثانية**) من هذا الحديث؛ لا يفرك مؤمن مؤمنة: (وهي زوالُ الهمِ والقلقِ، وبقاء الصفاء) والمودة، (والمداومةُ على القيام بالحقوق الواجبة والمستحبّة، وحصولُ الراحة بين الطرفين)؛ بل بين جميع الأطراف، الطرفين الرجل وامرأته، أما جميع الأطراف في خارج البيت في الأصحاب والأصدقاء كيف تعاملهم؟

قال: (ومن لم يسترشدْ بهذا الذي ذكره النبيُّ ﷺ؛ بل عكس القضيَّةَ فلَحظَ المساوئَ)، واهتمَّ بالسلبيات، (وعمي عن المحاسن)، وتناسى الإيجابيات، (فلا بدَّ أنْ يقلق) ويضطرب، (ولا بدَّ أنْ يتكدَّر ما بينه وبين من يتصلَ به)، من ولد أو زوجة (من المحبّة، ويتقطَّع كثيرٌ من الحقوق التي على كلٍ منهما المحافظة عليها)، هذا بين الزوجين، وكذا وكلٌّ من بينك وبينه اتصالٌ كالقريب والصاحب والمعامل.

قال الشيخ رحمه الله: (وكثير من الناسِ ذوي) المطالب السامية، ولاحظوا هذه مهمة جدًّا جدًّا، أناس ذوي مطالب سامية، و(الهمم العالية؛ يوطّنونَ أنفسهم عند وقوعِ **الكوارث والمزعجات** على الصبرِ والطمأنينة)، وتقبُّلِ الأمورِ بهدوء وسكينة، وتعقُّلٍ ورزينة.

(**لكن**؛ عند الأمورِ التافهة البسيطة يقلقون، ويتكدَّرُ الصفاء! والسببُ في هذا: أنهم **وطّنوا نفوسهم** عند الأمورِ الكبار)، فعند الأمور الكبار تجده وطن نفسه، لكن عند الأمور التافهة من أجل كلمة، من أجل فعل بسيط، من أجل كذا لا يصبر، يقلق، إذن (**وطّنوا نفوسهم** عند الأمورِ الكبار)، والمزعجات العظام، (وتركوها عند الأمورِ الصغار)، والتوافه والسفاسف،[1] (فضرَّتهم وأثرتْ في راحتهم، **فالحازم** يوطّنُ نفسه على الأمور القليلة والكبيرة، ويسألُ الله الإعانةَ عليها، وأن لا يكله) ولا يتركه (إلى نفسه طرفة عين) أو أقلَّ منها، (فعند ذلك يسهل عليه الصغير، كما سهل عليه الكبير، ويبقى مطمئن النفسِ، ساكن القلبِ مستريحا).

وهذه تشبه –مثلا– إنسان؛ عالم أو شيخ أو خطيب، يعظُ الناس، ما شاء الله، وفي بيته تحدثُ مشكلةٌ بسيطةٌ ما يستطيع حلّها.

مختار عائلة –ما شاء الله– يحلُّ مشاكل الناس ويضع لها الحلول، مشكلةٌ يسيرةٌ مع ولده لا يستطيع حلّها، هذا لا ينفع، فأنت مطلوب منك أن توطّن نفسك على الكبير والصغير، لا تنتبه لشيء وتترك الأشياء.

---

(١) والسَّفْسَافُ: الرَّدِيءُ مِن كُلِّ شَيْءٍ، والأَمْرُ الْحَقِيرُ، تاج العروس (٢٣/ ٤٤١).

قالت امرأةٌ لبعلها -ورأته مهموما-: (ممَّ همُّك؟ أبالدّنيا؟ فقدْ فرغَ الله منها! أم بالآخرة؟ فزادَكَ الله همّا!).[1]

فالآخرة تحتاج، ولكن الدنيا فرغ الله منها، أم بالآخرة فزادك الله همًّا.

١٤- رابع عشر الأسباب الموصلة للسعادة والراحة، قال الشيخ رحمه الله:

(فصل)

(العاقلُ يعلمُ أنَّ حياتَه الصحيحةَ؛ حياةُ السعادة والطمأنينة، وأنها قصيرةٌ جدًّا، فلا ينبغي له أنْ يقصّرها بالهمّ)، أقول: فوق أنها قصيرة يقصرها بالهم والغم، (والاسترسال مع الأكدار، فإنّ ذلك ضدَّ الحياة الصحيحة، فيشحُّ) ويبخل (بحياته؛ أنْ يذهبَ كثيرٌ منها نهبًا للهموم والأكدار، ولا فرقَ في هذا بين البرِّ والفاجر، ولكنَّ المؤمن له من التحقق بهذا الوصف الحظُ الأوفر، والنصيب النافع العاجل والآجل). فمن وقع رهينة الهموم، وسجين الأكدار، أدى به إلى أسوأ الأفكار، أو إلى الانتحار، والعياذُ بالله جلَّ جلاله.

عن عون بن عبد الله قال: (بينا رجلٌ في بستان بمصر في فتنة ابن الزبير)، الفتنة المعروفة في التاريخ بين الأمويين وبين ابن الزبير رضيَ اللهَ عنهما، بين الحجاج وبينَ ابن الزبير ﷺ، هذا الرجل في مصر في بستانه (جالس مهموم حزين، ينكُتُ في الأرض، إذْ رفعَ رأسه؛ فإذا صاحبُ مسحاة قائمٌ بين يديه)، المسحاة هي الفأس، وهي ما يمسح بها الأرض، فلاح واقف قائم بين يديه، فقال صاحب المسحاة:

(ما لي أراكَ مهموما حزينا؟) (فكأنه ازدراه)، واحتقره؛ أي: هل ترفع عني أنت هذا الهم؟

(فقال: لا شيء)، فقال صاحب المسحاة: (إن يكن) حزنك (للدنيا، فالدنيا عرض حاضر، يأكل منه البَّر والفاجر، وإنَّ الآخرةَ أَجَلٌ صادقٌ، يحكمُ فيه ملكٌ قادرٌ، يفصلُ بين الحقّ والباطل، حتى ذُكر أنَّ لها مفاصل مثل مفاصلِ اللحم، من أخطأ منها شَيئًا أخطأَ الحقَّ)، فلما سمع صاحب البستان بذلك؛ قال:

(اهتمامي بما فيه المسلمون)، فتنة في مكّة المكرمة، فتنة ابن الزبير هذا الذي أهمه، فانظر بمَ أجاب صاحب المسحاة، فقال:

([1]) عيون الأخبار لابن قتيبة الدينوري (ت ٢٧٦هـ)، (٢/ ٣٥٧).

(فإنَّ اللَّهَ سينجيكَ بشفقَتكَ على المسلمين)، ما دام عندك الشفقة على المسلمين تنجو من هذه الفتنة، (وسل)؛ أي اسأل: (مَن ذا الذي سأَلَ اللَّه فلم يُعطه؟ و) من (دعـا اللَّه فلم يُجبْه؟ وتوكَّلَ عليه فلم يكفه؟ ووثق به فلم ينجّه؟!) قال: فطفقت أقول:

(اللهم سلِّمْني وسلِّمْ منِّي)، سلمني من الفتن، وسلم مني إني أنا ما أقع فيها ولا أقع في غيري، قال: (فتجلَّت) الفتنة وانكشفَت وذهبَت (ولم أُصب منها بشيء)، مصنف ابن أبي شيبة.[1]

و(رأى بعض النساك)؛ أي: الزهاد والعباد رأى (صديقًا له من النُّساك مهموما)، ناسكٌ رأى ناسكًا، (فسأله عن حاله ذلك؟ فقال): (كان عندي يتيمٌ أحتسبُ فيه الأجر، فمات). (قال الناسك) الآخر:

(فاطلب يتيما غيره؛ فإنّ ذلك لا يعدمكَ إنْ شاء الله)، الأيتام كثر، فابحث عن غيره، (قال):

(أخافُ أن لا أصيبَ يتيمًا في سوء خلقه!) فاليتيم الذي عنده كان سيء الخُلُق، وهو يتحمله لذلك حاز على الأجر الكبير، فلو أراد يتيما آخر لما وجَده سيء الخلق لكن هذا الكلام ما أعجب الناسك الأول، (فقال):

(أما أنِّي لو كنتُ مكانَكَ لم أذكر سوء خلقه). البيان والتبيين.[2]

١٥- خامس عشر الأسباب الموصلة للسعادة، قال الشيخ رحمه الله:

(وينبغي أيضا إذا أصابه مكروهٌ أو خاف منه؛ أنَ يقارنَ بينَ بقيّة النّعم الحاصلة له؛ دينيةً أو دنيوية، وبين ما أصابه من مكروه، فعند المقارنة يتَّضحُ **كثرةُ** ما هو فيه من النعم، **واضمحلالُ** ما أصابه مَن المكاره).

(وكذلك يقارنُ بين ما يخافُه من حدوث ضرر عليه، وبين الاحتمالات الكثيرة في السلامة منها، فلا يدعُ الاحتمالَ الضعيفَ يغلبُ الاحتمالات الكثيرةَ القويَّة، وبذلك يزولُ هَمُّه وخوفُه، ويقدّر **أعظم ما يكونُ من الاحتمالات** التي يمكنُ أنْ تصيبه، فيوطّنُ نفسه لحدوثها إنْ حدثَت، ويسعى في دفْعِ ما لم يقعِ منها، وفي رفعِ ما وقعَ أو تخفيفه).

([1]) مصنف ابن أبي شيبة (١٩/ ٤٣٥)، ت، الشثري)، رقم: (٣٧٥٦٣)، وفي الحاشية: انظر: الحادثة في الحلية (٤/ ٢٤٤)، والفتن لنعيم (٥٠٨)، والدعاء للطبراني (١٣٣١)، والزهد لهناد (٧٨٤)، والهواتف لابن أبي الدنيا (١٢١).

([2]) البيان والتبيين للجاحظ (ت ٢٥٥هـ) (٣/ ٨٩).

وهذا ذُكِرَ في سبب سابق، تكلمنا عنه أنه ينظر في هذه المصائب التي وقعت، فيحمد لله أنها ما كانت أكبر من ذلك، ووطن نفسك على ذلك على أن نهايتها ستكون أكبر، واعمل على تخفيفها، وهي في الحقيقة أصغر فيطمئن القلب ويزول القلق إن شاء الله، ويذهب الاضطراب.

١٦- سادس عشر الأسباب الموصلة للسعادة، قال الشيخ رحمه الله:

(ومن الأمور النافعة) والأسباب الناجعة: (أن تعرفَ أنَّ أذيَّةَ الناسِ لك)، هذه مصيبة، أن تؤذَى من الناس بالقول أو الفعل، (وخصوصا في الأقوال السيئة، لا تضرُّك، بل تضرُّهم؛ إلاّ إنْ أشغَلْت نفسك في الاهتمام بها، وسوَّغْت لها أنْ تملكَ مشاعرَك، فعند ذلك تضرُّك كما ضرَّتْهُم، فإنْ أنتَ لم تضعْ لها بالاً لم تضرُّك شيئا)، قال سبحانه: **{لَن يَضُرُّوكُمْ إِلاَّ أَذًى}**، (آل عمران: ١١١).

ومعظم الكلام الذي من الناس، -سبحان الله!- هو في ميزان حسناتك، هذا إذا صبرت، وإلا أصبحت أنت وهم سيان، ثم أصابك القلق وأصابك الاضطراب.

١٧- سابع عشر الأسباب المؤدية للسعادة، قال الشيخ رحمه الله:

(واعلم) أيُّها المسلم! (أنَّ حياتَك تَبعٌ لأفكارك، فإنْ كانت) أفكارَك (أفكارا فيما يعودُ عليك نفعه في دينٍ أو دنيا؛ فحياتُك طيِّبةٌ سعيدةٌ، وإلاّ فالأمر بالعكس)، فقد ثبت عن رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم؛ أنَّه قَالَ:

("**قَالَ اللهُ عَزَّ وجلَّ: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وأَنَا معه حيث يَذْكُرُنِي، واللهِ! لَلَّهُ أَفْرَحُ بِتَوْبَةِ عَبْدِه مِنْ أَحَدِكُمْ يَجِدُ ضَالَّتَه بِالْفَلاَة**")، رواه مسلم.[1] فظُنَّ خيرا تجدْ خيرا.

١٨- ثامن عشر هذه الوسائل للحياة السعيدة، قال الشيخ رحمه الله: (ومن أنفعِ الأمور لطرد الهم) والغم والحزن والقلق: (أنّ توطّن نفسك على أن لا تطلب الشكرَ) والمدح والثناء الحسن (إلا من الله) ﷻ، لا تطلب شيئا مقابل ما فعلت سببه، لا تطلب شكره من الناس، (فإذا أحسنْت إلى من له حق عليك، أو من ليس له حقٌّ؛ فاعلم أنّ هذا معاملةَ منكَ مع الله) سبحانه وتعالى، (فلا تبال بشُكْر من أَنعمتَ عليه، كما قال) سبحانه و (تعالى في حقِّ خواصِّ خَلْقِه: **{إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا}**)، (الإنسان:٩).

---

(1) (م) ١- (٢٦٧٥).

وقال الشيخ رحمه الله: (ويتأكَّدُ هذا في معاملة الأهلِ والأولاد، ومَن قوي اتصالُك بهم، فمتى وطَّنْتَ نفسَك على إلقاءِ الشَّرِّ عنهم فقدْ أَرَحْتَ واسترحْتَ، **ومن دواعي الراحة**؛ أَخْذُ الفضائلِ)، وهي الأمور الطيبة، (والعمل عليها، بحسبِ الداعي النفسي، دونَ التَّكَلُّفُ الذي يقلقُك، وتعودُ على أدراجكَ خائبًا من حصول الفضيلة، حيثُ سلكتَ الطريقَ الملتوي، وهذا من الحكمة، وأنْ تتَّخذَ مِنَ الأمورِ الكدرةِ أمورا صافيةً حلوةً، وبذلك يزيدُ صفاءُ اللذات، وتزولُ الأكدار).

١٩- تاسع عشر هذه الوسائل والأسباب للسعادة، قال الشيخ رحمه الله:

(اجعل الأمور النافعةَ نُصب عينيك)؛ أي: دائما اجعل تفكيرك فيما ينفعك أو فيما ينفع غيرك، (واعمل على تحقيقها، ولا تلتفتْ إلى الأمورِ الضّارّةِ؛ لتلهو بذلك عن الأسبابِ الجالبةِ للهمِّ والحزنِ، واستعنْ بالراحةِ، وإجماعِ النفسِ على الأعمالِ المهمّة).

٢٠- السببُ المتمّم للعشرين من أسباب الحياة السعيدة، قال الشيخ رحمه الله:

(ومن الأمورِ النافعة: حسمُ الأعمال في الحال، والتفرُّغُ في المستقبل؛ لأنّ الأعمالَ إذا لم تُحسَمْ؛ اجتمعَ عليكَ بقيةَ الأعمال السابقة، وانضافت إليها الأعمال اللاحقة، فتشتد وطأتها، فإذا حسمت كل شيء بوقته أتيت الأمور المستقبلة بقوة تفكير وقوة عمل)، قال عبد قيس بن خفاف: [1]

(وإذا هَمَمْتَ بأَمرِ شرٍّ فاتَّئِدْ ... وإذا هَمَمْتَ بأمرِ خيرٍ فافْعَلِ).[2]

يعني في الشرور تمهَّل، إذا نويت على شيء تظن أنه ليس فيه الخير لا تتسرع، إذا هممت بأمرِ شرٍ فاتَّئِدْ، من التؤدة، أي: تمهل، وفي أمور الخير قال: وإذا هممت بأمرِ خيرٍ فافعل، أي: سارع في الخيرات.

عَنِ الْحَارِثِ بْنِ قَيْسٍ، قَالَ: (إِذَا كُنْتَ فِي أَمْرِ الْآخِرَةِ)؛ أي: أعمال الآخرة (فَتَمَكَّثْ، وَإِذَا كُنْتَ فِي أَمْرِ الدُّنْيَا؛ فَتَوَخَّ)؛ يعني أمر الآخرة أطل الصلاة، أطل الوضوء، أطل الأعمال الطيبة، أطل ذكر الله، تمكث، وإذا كنت في أمر الدنيا فتوخ إياك أن تقع في خطأ، تقع في مغالطة في مصيبة، (وَإِذَا هَمَمْتَ بِأَمْرِ خَيْرٍ؛ فَلَا تُؤَخِّرْهُ، وَإِذَا أَتَاكَ الشَّيْطَانُ

([1]) هو عبد قيس بن خفاف، أبو جبيل البرجمي، من بني عمرو بن حنظلة: شاعر تميمي جاهلي فحل، من شعراء المفضليات. الأعلام للزركلي (٤/ ٤٩).

([2]) المفضليات للمفضل بن محمد بن يعلى بن سالم الضبي (ت نحو ١٦٨هـ)، (ص: ٣٨٥).

وأَنْتَ تُصلّي، فَقَالَ: إنَّكَ مُراء)؛ وكثير من الناس يأتيهم الشيطان يوسوس لهم أنك مرائي، ماذا يفعل؟ قال: (فَزِدْه طَولًا). حليةَ الأولياء.[1] أطِل صلاتَك زيادة، هذا فيه كيد للشيطان.

٢١- وختامها في هذه الرسالة هو السبب الحادي والعشرون، قال الشيخ رحمه الله:

(وينبغي أنْ **تتخيَّر** من الأعمال النافعة الأهمَّ فالأهمَّ، **وميِّزْ** بين ما تميل نفسك إليه، وتشتدُّ رغبَتَك فيه، فإنَّ ضدَّه يحدثُ السآمةَ، والملل والكدَر، **واستعن** على ذلك بالفكْرِ الصحيحِ والمشاورة، فما ندم من استشار، وادرس ما تريدَ فعلَه درسًا دقيقًا، فإذا تحقّقتْ المصلحةُ، وعزمْتَ فتوكّل على الله؛ إنَّ اللهَ يحبُّ المتوكّلين)، فقد قال سبحانه: **{وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ}**، (آل عمران: ١٥٩).

وقال الْحسن رحمه الله، قَالَ: (ما شَاور قَوْمٌ؛ إلّا هَدُوا لأَرْشَدِ أَمْرِهِم)، مصنف ابن أبي شيبة.[2]

وختم المؤلف رحمه الله سبحانه وتعالى رسالته، بالحمدلة، والصلاة على النبي ﷺ، فقال: (والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه وسلم).

وبهذا تكون الرسالة قد انتهت، وهنا ملحق جعلته في نهاية هذه الرسالة، بأمثلة واقعية على أهل السعادة وأهل الشقاوة، **وجعلته من اجتهاد مني أربعة أقسام:**

١- منهم من أسعده الله في الدارين.

٢- ومنهم من أشقاه الله في الدارين.

٣- ومنهم من أسعده الله في الدنيا فقط.

٤- ومنهم من أسعده الله في الآخرة فقط.

وأقصدُ بالسعادة هنا؛ سعادةَ القلوب بالدين والإيمان، وسعادةَ الأبدان بلذائذ الدنيا وشهواتها.

وإليكم البيان:

([1]) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء- ط، السعادة (٤/ ١٣٢).

([2]) مصنف ابن أبي شيبة (٥/ ٢٩٨) ت، الحوت)، رقم: (٢٦٢٧٥).

١- من أسعده الله في الدارين، ومنهم **داود وسليمان ويوسف** عليهم السلام حيث أسعدهم الله بالدين والإيمان والنبوة، وأسعدهم بالملك والمال والزوجات والأولاد.

فسليمان عليه السلام ملك الجن والإنس والطير، والريح، بل سخر الله له خيلا تطير، قالت عائشة ﵂ لرسول الله ﷺ، عندما رأى أنها قد صنعت من الخرق عرائس وما شابه ذلك، كما تفعل الفتيات الصغيرات، وبينها كان فرسا وخيلا، وكان على جانبيه أشياء، فقال: ما هذا؟ قالت: فرس خيل، قال ما هذا الذي عليه؟ قال: جناحان، قال: سبحان الله فرس وله جناحان النبي ﷺ يقول لها، فرس له جناحان، فقالت: (أَمَا سَمِعْتَ أَنَّ لِسُلَيْمَانَ خَيْلًا لَهَا أَجْنِحَةٌ؟!) قَالَتْ: "**فَضَحِكَ حَتَّى رَأَيْتُ نَوَاجِذَهُ**"، (د) (حب).[1]

والضحك هنا؛ تأييد لقولها، وتصديق لها؛ أن لسليمان خيل لها أجنحة، ومثلُهم ملوكُ المسلمين العادلون الصالحون المصلحون، وأغنياؤهم وأثرياؤهم المحسنون المتَّقون، ربنا أَسعدَهم بالمال والملك في الدنيا فأسعدهم بالآخرة.

٢- ومنهم من أشقاه الله في الدارين؛ وأوَّلُهم إبليس عليه لعائن الله، والشياطين، وفقراء الكافرين، وتعساء المشركين. تعاسة في الدنيا وتعاسة في الآخرة، نسأل الله السلامة.

٣- ومنهم من أسعده الله في الدنيا فقط، وهم الملوكُ والرؤساء ووزراؤهم ومسئولوهم، من الكفارِ الظالمين المتجبرين، كفرعونَ وهامان، والأثرياء والأغنياء من المشركين، ومنهم قارونُ وأبيٌّ بن خلف وغيرهم في الآخرةَ ليس له حظ، وفي الدنيا أعطي الدنيا.

٤- ومنهم من أسعده الله في الآخرة فقط، وهم من عاشوا شَظَفًا من العيش في حياتهم الدنيا من الأنبياء والرسل عليه الصلاة والسلام، ومثلُهم فقراء المؤمنين ومساكينهم.

ومنهم من تقلّب في شقَاء الدنيا وتعبها ونصبها، وفقرها وفقْد الأهل والأحباب، وذهاب الصحة والعافية، هذا في الدنيا، ثم آتاه الله من فضله أَهلا ومالاً وصحة، **فنبيٌّ** اللهَ أيوب عَليه السلام؛ ابتلاه الله بالغنى والثراء، وكثرة الأولاد في أوّل أمرِه، ثم ابتلاه بذهاب أمواله وأهله، وصحته وعافيته، بضعةَ عشرَ عاما، فصبرَ أيما صبْرٍ، ثم أعاد الله له ضعف ما

[1] (د) (٤٩٣٢)، (حب) (٥٨٦٤)، انظر المشكاة: (٣٢٦٥)، وآداب الزفاف (ص: ٢٠٣).

أخذ منه مالا وأهلا، قال الله سبحانه وتعالى: {**وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ* فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ**} الضعف، **كم كان أهله؟**

قالوا: كانوا أحد عشر ولدا أو اثني عشر، ضعف بعد الحادثة آتاه أربعة وعشرين والله أعلم، {**رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ**}، (الأنبياء: ٨٣، ٨٤).

وفي حديث من الأحاديث الطوال عند أبي يعلى والطبراني والحاكم وابن حبان، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:

("**إِنَّ أَيُّوبَ نَبِيَّ اللهِ عليه السلام لَبِثَ بِهِ بَلاؤُهُ ثَمَانِيَ عَشْرَةَ سَنَةً، فَرَفَضَهُ الْقَرِيبُ وَالْبَعِيدُ؛ إِلا رَجُلَيْنِ مِنْ إِخْوَانِهِ، كَانَا مِنْ أَخَصِّ إِخْوَانِهِ**")، يعني أصحابَه ("**كَانَا يَغْدُوَانِ**")، أي: يسيرون أولَ النهار ("**إِلَيْهِ، وَيَرُوحَانِ، فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ ذَاتَ يَوْمٍ**") في آخر البضعة عشر عاما، قرب الفرج، وقربت الصحة والعافية، قال لصاحبه ذات يوم: ("**تَعْلَمُ وَاللهِ، لَقَدْ أَذْنَبَ أَيُّوبُ ذَنْبًا مَا أَذْنَبَهُ أَحَدٌ مِنَ الْعَالَمِينَ، فَقَالَ لَهُ صَاحِبُهُ: وَمَا ذَاكَ؟! قَالَ: مُنْذُ ثَمَانِيَ عَشْرَةَ سَنَةً لَمْ يَرْحَمْهُ اللهُ فَيَكْشِفَ مَا بِهِ**")، وظنوا أنه حسب جهلهم؛ أنه معاقبة على ذنب، وهو ليس كذلك، ("**فَلَمَّا رَاحَا إِلَى أَيُّوبَ، لَمْ يَصْبِرِ الرَّجُلُ حَتَّى ذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ، فَقَالَ أَيُّوبُ**")، الآن أيوب يريد أن يتذكر ما هو الذنب الذي أورثه ثمانية عشر عاما في العذاب، ما هو الذنبَ بدأ يتذكر، قال: ("**مَا أَدْرِي مَا تَقُولَانِ، غَيْرَ أَنَّ اللهَ يَعْلَمُ أَنِّي كُنْتُ أَمُرُّ بِالرَّجُلَيْنِ يَتَنَازَعَانِ**")؛ أي: يتخاصمان ("**فَيَذْكُرَانِ اللهَ**")؛ أي: كل واحد منهم يحلف يمين بالله؛ أن هذا من حقّه، والآخر يدعي خلافه، ويحلفان بالله، ويذكران الله، ("**فَأَرْجِعُ إِلَى بَيْتِي فَأُكَفِّرُ عَنْهُمَا**")، ممكن يكون هذا ذنباً يعاقب عليه الإنسان بثمانية عشر عاما في المرض، قال: ("**فَأَرْجِعُ إِلَى بَيْتِي فَأُكَفِّرُ عَنْهُمَا، كَرَاهِيَةَ أَنْ يُذْكَرَ اللهُ إِلا فِي حَقٍّ، قَالَ: وَكَانَ أَيُّوبُ يَخْرُجُ لِحَاجَتِهِ، فَإِذَا قَضَى حَاجَتَهُ، أَمْسَكَتِ امْرَأَتُهُ بِيَدِهِ حَتَّى يَبْلُغَ، فَلَمَّا كَانَ ذَاتَ يَوْمٍ أَبْطَأَ عَلَيْهَا**")، ذهبت به لقضاء حاجته فتأخر عنها وأبطأ، لم يأتها على الموعد، ("**فَأَوْحَى اللهُ إِلَى أَيُّوبَ أَنِ: {ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ}، فَاسْتَبْطَأَتْهُ، فَبَلَغَتْهُ تَنْظُرُ**")؛ أي: ذهبت إلى المكان الذي يقضي حاجته فيه، ف("**أَقْبَلَ عَلَيْهَا قَدْ أَذْهَبَ اللهُ مَا بِهِ مِنَ الْبَلاءِ**")، رجع شاباً مرة أخرى، رجع كما كان قبل ثمانية عشر عاما من عمره ("**فَهُوَ أَحْسَنُ مَا كَانَ، فَلَمَّا رَأَتْهُ**")؛ لم تعرفه ف ("**قَالَتْ: أَيْ بَارَكَ اللهُ فِيكَ، هَلْ رَأَيْتَ نَبِيَّ اللهِ هَذَا الْمُبْتَلَى؟**) تقول زوجته: (**وَاللهِ عَلَى ذَلِكَ، مَا رَأَيْتُ أَحَدًا كَانَ أَشْبَهَ بِهِ مِنْكَ إِذْ كَانَ صَحِيحًا**")، ما عرفته حتى في

بعض الروايات؛ أنها وضعت الثوب على وجهها غطته منه، لأن نساء بني إسرائيل الصالحات كن يغطين وجوههن ليس كاليوم ككثير من المسلمات، نسأل الله السلامة، (**"قَالَ"**) لها: (**"فَإِنِّي أَنَا هو"**)، وعرفها بنفسه وشكر الله على ذلك، (**"وَكَانَ لَهُ أَنْدَرَان"**)؛ أي: بيدران؛ وهو المكان الذي يخزن فيه القمح ويخزن فيه الشعير، (**"أَنْدَر الْقَمحِ، وأَنْدَر الشَّعير، فَبعثَ اللهُ سَحَابَتَيْنِ، فَلَمَّا كَانَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى أَنْدَر الْقَمْحِ، أَفْرَغَتْ فيه الذَّهَبَ حتَّى فَاضَ"**)، بدلَ كلِ حبَّة شَعيرٍ كان هناك ذهب حتى فاض (**" وأَفْرَغَت الأُخْرى عَلَى أَنْدَرِ الشَّعيرِ الْوَرَقَ؛"**) أي: الفضة (**"حتَّى فَاضَ"**)، الحديث بزوائده عند: الطبراني في الأحاديث الطوال (يع) (حب) (ك).([1])

وعن أَبِي هريرةَ ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: (**"بينَما أيُّوبَ عليه السلام يغْتَسِلُ عُرْيَاناً"**)، يعني: ذهب لقضاء حاجته واغتسل بجانب البحر، ويقال عنه بحر العريش والله أعلم، (**خَرَّ عَلَيْه جرادٌ مِنْ ذَهَب، فَجَعَلَ يَحْثي في ثَوْبِه"**)، يعني الأندران امتلآ، وتساقط الذهب خارج والفضة خارج الأندر، فكانَ يجمعه ويَضعه فيً ثوبه، (**"فَنَادَاهُ رَبُّهُ عز وجل: يا أيُّوب، أَلَمْ أكُن أغْنَيْتكَ عَمَّا تَرى؟)** عندك ما شاء الله أكثر من طن أو اثنين من الذهب، ومثله من الفضة، ألم أكن أغنيتك حتى تأخذ هذه الأشياء الساقطة؟ (**أَلَمْ يَكْفكَ مَا أَعْطَيْنَاكَ؟) (قَالَ: بلَى يا رَبِّ! ولَكنْ لَا غنَى لِي عَنْ) (بركَاتكَ"**)، وفي رواية: (**"عَنْ فَضْلكَ"**)، الحديث بزوائده عند: (خ) (س) (حب) (حم) وقال الأرناؤوط: إسناده صحيح على شرط الشيخين.([2])

فهذا آت من عندك، ما فيه ربا، ولا فيه محرمات، ولا فيه غش، ولا فيه سرقة، هذا آت مباشرةً من عندك يا رب.

وقوله سبحانه لنبيه أيوب عليه السلام: {**وخُذْ بيَدكَ ضغْثًا فَاضْرِبْ به وَلَا تَحْنَثْ إنَّا وجَدْنَاهُ صَابراً نعْمَ الْعَبْدُ إنَّهُ أَوَّاب**}، (ص: ٣١).

قَالَ الْبخَاريُّ(٣): (الضِّغْثُ: ملْءُ اليَد منْ حَشيش ومَا أَشْبَهه)؛ لأنه حلف أن يضرب زوجته مائة جلدة لأنها تأخرت عنه لأمر ما، فلماَ شَفي وَعوفي أرادَ أن يوفَي بنذًره، فليس في شريعتهم كفارة يمين، فالله رحم هذه المرأة التي لم تخطئ، فيكفي عثكولٌ كما جاء في بعض الروايات، أو ضغث أي حزمة حشائش، ثم يضرب بها وهي مائة من الحشيش، (ومنْهُ: {**وخُذْ بيدكَ ضغْثًا**}، لاَ منْ قَوْله: {**أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ**}، وَاحدُهَا ضغْثٌ).

([1]) الطبراني في الأحاديث الطوال (ج١/ ص٢٨٤ ح٤٠)، (يع) (٣٦١٧)، (حب) (٢٨٩٨)، (ك) (٤١١٥)، انظر الصَّحِيحَة: (١٧).

([2]) (خ) (٢٧٩)، (٣٣٩١)، (س) (٤٠٩)، (حب) (٦٢٣٠)، (حم) (٧٣٠٩)، وقال الأرناؤوط: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

(٣) الْبُخَارِيُّ (ج٦/ ص٧٥).

ومن أسباب السعادة أن تكون الأسرةُ مهيأةً للحياة السعيدة، من الزوجة الصالحة، والمسكن الواسع، والمركب الحسن والدابة السريع، والجار الطيب الصالح، فعَنْ نَافِعِ بْنِ عَبْدِ الْحَارِثِ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ("**مِنْ سَعَادَةِ الْمَرْءِ الْمُسْلِمِ: الْمَسْكَنُ الْوَاسِعُ، وَالْجَارُ الصَّالِحُ، وَالْمَرْكَبُ الْهَنِيءُ**")، (خد) (حم) (ك).[1]

وعَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ("**أَرْبَعٌ مِنَ السَّعَادَةِ: الْمَرْأَةُ الصَّالِحَةُ، وَالْمَسْكَنُ الْوَاسِعُ، وَالْجَارُ الصَّالِحُ، وَالْمَرْكَبُ الْهَنِيءُ، وَأَرْبَعٌ مِنَ الشَّقَاوَةِ: الْجَارُ السُّوءُ، وَالْمَرْأَةُ السُّوءُ، وَالْمَسْكَنُ الضِّيقُ، وَالْمَرْكَبُ السُّوءُ**")، (حب) (هب) (الضياء) (حم).[2]

وعَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ ﷺ؛ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، قَالَ: ("**ثَلَاثٌ مِنَ السَّعَادَةِ، وَثَلَاثٌ مِنَ الشَّقَاوَةِ، فَمِنَ السَّعَادَةِ: الْمَرْأَةُ تَرَاهَا تُعْجِبُكَ، وَتَغِيبُ فَتَأْمَنُهَا عَلَى نَفْسِهَا**")؛ أَي: فَلَا تخونك وَالعياذ بالله، بزنا ولا بتبرج ونَحو ذلك. فتأمنها على نفسها، ("**و**") علَى ("**مَالِكَ**")؛ أَي: فلاَ تخون فيه بسرقة ولا تبذير، ولا نحو ذلك.

("**و**") كذلك ("**الدَّابَّةُ تَكُونُ وَطِيئَةً**")؛ أَي: هنيَّةً، سريعةَ المشيِ، سهلةَ الانقياد، ("**فَتُلْحِقُكَ بِأَصْحَابِكَ**") بلا تعب ولا مشقَّة في الحضِ والإحثاثَ، لا كسيارة تتعبك بأعطالها، وكل وقت وحين تحتاج إلى إصلاح، وتفعل لها كذا وكذا، فهذه ليست من السعادة، السعادة تكون في سيارة حسنة جيدة، توصلك وتأتي بك وتلحقك بأصحابك كما جاء في الحديث، بلا تعب ولا مشقة ولا إحثاث.

("**وَالدَّارُ تَكُونُ وَاسِعَةً كَثِيرَةَ الْمَرَافِقِ**")، المرافقُ: من الدار؛ المُغْتَسَل والكَنيف؛ (أَيْ: الحمَّام والمرحاض). وكلُّ شيء يكون موجودا فيهَا لسعتها.

("**وَمِنَ الشَّقَاوَةِ: الْمَرْأَةُ تَرَاهَا فَتَسُوءُكَ**")؛ أَيْ: لقبحِ ذاتها فمنظرها قبيح، أو أفعالها، نسأل الله السلامة، ("**وَتَحْمِلُ لِسَانَهَا عَلَيْكَ**")؛ أَي: بالبذاءة، ("**وَإِنْ غِبْتَ عَنْهَا؛ لَمْ تَأْمَنْهَا عَلَى نَفْسِهَا وَمَالِكَ**").

("**وَالدَّابَّةُ تَكُونُ قَطُوفًا**")؛ أَي: بطيئةَ السير، ("**فَإِنْ ضَرَبْتَهَا**")، لتسرع بك، ("**أَتْعَبَتْكَ، وَإِنْ تَرَكْتَهَا**")؛ أَي: تمشي بغير ضرب؛ ("**لَمْ تُلْحِقْكَ بِأَصْحَابِكَ**").

([1]) (خد) (١١٦)، (حم) (١٥٣٧٢)، (ك) (٧٣٠٦)، صَحِيح الْجَامِع: (٣٠٢٩)، صَحِيح التَّرْغِيبِ: (٢٥٧٥).

([2]) (حب) (٤٠٣٢)، (هب) (٩٥٥٦)، (الضياء) (١٠٤٨)، (حم) (١٤٤٥)، انظر صَحِيح الْجَامِع: (٨٨٧)، الصَّحِيحَة: (٢٨٢).

("**وَالدَّار تَكُونُ ضَيِّقَةً قَلِيلَةَ الْمرافِق**")، الحديث بزوائده: (ك) (بز).[١]

وفي قوله سبحانه وتعالى: {**وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى**}، (قَالَ مُجَاهِدٌ: قَدَّرَ الشَّقَاء والسَّعادَة)، فالشقاء والسعادة من الله عز وجل، (و) كذلك قدر و (هدى الأَنْعام لمراتعها).

والسعادة والشقاوة في قدر الله على الناس وهم في أجنة بطون أمهاتهم، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: ("**إِنَّ اللهَ وَكَّلَ فِي الرَّحِمِ مَلَكًا، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ نُطْفَةٌ؟**") في الأربعين الأولى ("**يَا رَبِّ عَلَقَةٌ؟ يَا رَبِّ مُضْغَةٌ؟ فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَخْلُقَهَا، قَالَ: يَا رَبِّ أَذَكَرٌ؟ يَا رَبِّ أُنْثَى؟ يَا رَبِّ شَقِيٌّ أَمْ سَعِيدٌ؟ فَمَا الرِّزْقُ؟ فَمَا الْأَجَلُ؟ فَيُكْتَبُ كَذَلِكَ فِي بَطْنِ أُمِّه**")، (خ) (م).[٢]

ومع أن السعيد سعيدٌ في قدر الله سبحانه وتعالى، مكتوب من قبل، والشقيَّ شقي في علم الله، فلا بدَّ من العمل والسعي، فعَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ﷺ قَالَ: (لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: {**يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ، فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ**}، سَأَلْتُ رَسُولَ الله ﷺ فَقُلْتُ: (يَا نَبِيَّ الله! فَعَلَى مَاذَا نَعْمَلُ؟ عَلَى شَيْءٍ قَدْ فُرِغَ مِنْهُ؟ أَوْ عَلَى شَيْءٍ لَمْ يُفْرَغْ مِنْهُ؟! قَالَ):

("**بَلْ عَلَى شَيْءٍ قَدْ فُرِغَ مِنْهُ، وَجَرَتْ بِهِ الْأَقْلَامُ يَا عُمَرُ، وَلَكِنْ كُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ**")، (ت).[٣]

والسعيد حقيقةً من يدخل الجنة، والشقي من يحرم من دخولها؛ بل يدخل النار خالداً فيها: فَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: ("**يُؤْتَى بِأَنْعَمِ**")؛ أي بأسعد ("**أَهْلِ الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**)، (**فَيُقَالُ: اغْمِسُوهُ فِي النَّارِ غَمْسَةً**")؛ أَيْ: أَدْخِلُوهُ فِيهَا سَاعَةً قَدْرَ مَا يُغْمَسُ فِي الْمَاءِ وَنَحْوِهِ، فَإِطْلَاقُ الْغَمْسِ هَاهُنَا بِالْمُشَاكَلَةِ.

("**فَيُغْمَسُ فِيهَا، ثُمَّ يُقَالُ لَهُ**"): ("**يَا ابْنَ آدَمَ، هَلْ رَأَيْتَ خَيْرًا قَطُّ؟ هَلْ مَرَّ بِكَ نَعِيمٌ قَطُّ؟**") أين القصور والأموالُ وما شابَه ذلك؟! ("**فَيَقُولُ: لَا وَالله يَا رَبِّ**")، هذه الغمسةَ أَنْسته النعيم كلّه نسأل الله السلامة، ("**مَا رَأَيْتُ خَيْرًا قَطُّ، وَلَا قُرَّةَ عَيْنٍ قَطُّ**")، في عمري الذي عشته ما استرحت في الدنيا ولا لحظة، ("**وَيُؤْتَى بِأَشَدِّ الْمُؤْمِنِينَ ضُرًّا**

(١) (ك) (٢٦٨٤)، (بز) (ج٤ ص١١)، انظر صَحِيح الْجَامِع: (٣٠٥٦)، الصَّحِيحَة: (١٠٤٧).

(٢) (خ) (٣٣٣٣)، (م) (٢٦٤٦).

(٣) (ت) (٣١١١).

وبلاء") ("كَانَ فِي الدُّنْيَا")، **("فَيُقَالُ: اغْمسوه غَمْسَةً فِي الْجَنَّة، فَيُغْمَس فيهَا غَمْسَةً")**، عاش الشقاء والفقر، عاش المرض، عاش الهموم والأحزانَ والأنكادَ، عاش القلق والاضطرابَ في الدنيا مِن مصائبها وما شابه ذلك، فيغمس في الجنة غمسة **("فَيَقَالُ لَهُ")**: **("يا ابن آدم، هل رأَيت بؤْسا قطُّ؟ هل مرَّ بك شدَّةٌ قطُّ؟ فَيَقُولُ: لَا وَالله يا ربِّ")**، سبحان الله! **("ما مرَّ بِي بؤُسٌ قطُّ، ولَا رأَيْتُ شدَّةً قطُّ")**. الحديث بزوائده: (م) (جة) (حم).[1]

في الختام:

أنت كم تساوي -أيها المؤمن- عند الله جلَّ جلاله؟

أنت الذي خلقك الله عز وجل، لو اعتدى عليك أحدٌ فأخذ نفسك**!** أنت عند الله غال.

فنفسُك ديتُها: مائةٌ منْ الْإبل. أو ألفُ دينار ذهبا، أو مائتا بقرة، أو ألفا شاة، هذا لو اعتدى عليك إنسان، ما يعادل أربع كيلوات وربع مِن الذَهب.

ولكن لو اعتدي على عضو من أعضائك؟

وأنا أحصي فيها سبحان الله طال الوقت فيها.

١- وَفِي الْأَنْف إِذَا أُوعب جَدْعً الدِّيَةُ. -ألف دينار ذهب، أربع كيلو وربع، ٢- وَفِي اللِّسَان: الدِّيَةُ. ٣- وَفِي الشَّفَتَيْن: الدِّيَةُ. ٤- وفِي الذَّكَر: الدِّيَة.

٥- وفِي البيضتين الدِّيَة. البيضتان: الخصيتان. ٦- وفِي الصُّلْب -واحد ضرب إنسان وكسر ظهره، انحدب الرجل فيه ففيه-: الدِّيَة. **الصلَب:** أي: إن كُسر الظهرُ فحدب الرجل ففيه **الدية**، ٧- وقيل: إن أصيب صلبه بشيء حتى أذهب منه الجمَاع. ينظر: النهاية.

كم دية أصبحت للإنسان؟

---

[1] (م) (٢٨٠٧)، (جة) (٤٣٢١)، (حم) (١٣١١٢)، (١٣٦٦٠) وقال الشيخ شعيب الأرناؤوط: إسناده صحيح.

كذلك قال الشيخ: والمنافع؛ ٨- كالسمع، ٩- والبصر، ١٠- والشم، ١١- والذوق، ١٢- واللمس، ١٣- ومنفعة الأكل ... وغيرها، في كل واحدة منها إذا جنِي عليها فذهبت **ديةٌ كاملة**. -كلها فيها ديةٌ أي ألف دينار من الذهب، أربع كيلو ذهب وربع.

فلو جنِي عليه فذهب منه عدة منافع **فلكل واحدة دية كاملة**. ١٤- وَفِي الْعَيْنَيْنِ: الدِّيَةُ. ١٥- وَفِي الرِّجْلَيْنِ: الدِّيَةُ. ١٦- وفي اليدين: الدية.

إلى هنا ١٦٠٠٠ دينار ذهب× ٤.٢٥جم= (٦٨٠٠٠) جم؛ أي: ثمان وستين كيلو ذهب.

هذه أجزاؤك يا أيها الإنسان، فهل أنت فقير يا عبد الله؟ كم ثمنك عند الله سبحانه وتعالى.

وَفِي الْمَأْمُومَةِ: ثُلُثُ الدِّيَةِ. **والمأمومة**: هي التي تخرق الجلد حتى تصل إلى أم الدماغ.

وَفِي الْجَائِفَةِ: ثُلُثُ الدِّيَةِ. **والجائفة**: الجرح الذي يصل إلى باطن الجوف من بطن أو غيره.

وَفِي الْمُنَقِّلَةِ: خَمْسَ عَشْرَةَ مِنْ الْإِبِلِ. **والمنقلة**: هي الشجة التي توضح عظم الرأس وتهشمه، وتنقل عظامه بتكسيره.

وَفِي كُلِّ إصْبَعٍ مِنْ أَصَابِعِ الْيَدِ وَالرِّجْلِ: عَشْرٌ مِنْ الْإِبِلِ.

وَفِي السِّنِّ خَمْسٌ مِنْ الْإِبِلِ.

وَفِي الْمُوضِحَةِ خَمْسٌ مِنْ الْإِبِلِ. **الموضحة**: هي الشجة التي توضح عظم الرأس وتبدي بياضه ولا تكسره فهي خاصة بالرأس والوجه.

وعَلَى أَهْلِ الذَّهَبِ أَلْفُ دِينَارٍ- رواه أبو داود .[1] ([2])

وفرضها عمر ﷺ عَلَى أَهْلِ الذَّهَبِ أَلْفَ دِينَارٍ، وَعَلَى أَهْلِ الْوَرِقِ اثْنَيْ عَشَرَ أَلْفًا، وَعَلَى أَهْلِ الْبَقَرِ مِائَتَيْ بَقَرَةٍ، وَعَلَى أَهْلِ الشَّاءِ أَلْفَيْ شَاةٍ، وَعَلَى أَهْلِ الْحُلَلِ مِائَتَيْ حُلَّةٍ،...[3]

([1]) انظر الروايات: (حب) (٦٥٥٩)، قال الألباني: صحيح لغيره- الإرواء (١٢٢)، المشكاة (٤٦٥)، (هق) (٧٠٤٧)، (ك) (١٤٤٧), (س) (٤٨٥٣), صححه الألباني في الإرواء: (٢١٩٨), (٢٢٣٨), وصحيح موارد الظمآن: (٦٦١).

([2]) منهج السالكين في الفقه لابن سعدي (ص: ١٣٦- ١٣٨) بتصرف.

([3]) انظر الروايات: (د) (٤٥٤٢)، (هق) (١٥٩٥٠)، وحسنه الألباني في الإرواء: (٢٢٤٧).

كل هذا محسوب عند الله سبحانه وتعالى فكم تساوي أنت يا عبد الله؟

أنت سعيد أم شقي؟ علام تكون الشقاوة وعندك هذا الشيء كله؟ نعمة السمع ونعمة الإبصار ونعمة البصر التي حفظك الله بها، فمن كان ناقصا هذا شيء ينقص له من الدية أو نصفها أو ما شابه ذلك.

نسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعلنا من عباده المؤمنين المتقين الصالحين، المتوكلين عليه في الدنيا والآخرة، وأن يجعلنا نحيا في هذه الحياة الدنيا حياة طيبة سعيدة، وفي الآخرة حياة طيبة سعيدة، وأن يعيننا على طاعته وابتغاء مرضاته، وأن ينشر بيننا المودة والرحمة والحب والألفة، وأن يجمعنا وينصرنا على عدونا، ويجعلنا يدا على من سوانا.

ونسأله سبحانه وتعالى أن يعيذنا من شر أنفسنا، وشر أعدائنا، وشر كل ذي شر هو آخذ بناصيته، ونعوذ بالله عز وجل من عذاب في النار، وعذاب في القبر.

ونعوذ من فتن الدنيا والآخرة، ونسأله حسن الأخلاق ونعوذ به من سيئها.

هذا والله أعلم

اللهم صل وسلم وبارك على نبينا مُحَمَّد، وعلى آله وصحبه أجمعين

بارك الله فيكم

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته